
تلخيص شرح
رسالة العبودية
شرح
ا/ حسين عبد الرازق
تلخيص
ا/ عاصم فتح الله

الشيخ محمد عبد الرازق

1

دورات تكوين طالب العلم
باستمداد تراث الأئمة جمعهم
سلسلة تهدف لتكوين الطلبة
معرفيا ومهاريا

- المحاضرة الخامسة -
- شرح كتاب العبودية -
- معالم مشروع الإمام ابن تيمية رحمه الله -

عناصر مهمة تحدث فيها لطالب العلم حتى يكون مستمدا لتراث الأئمة على
بينة :

مدخل الأئمة الذين يجب الاكتفاء بتراثهم عن معاصريهم مع ذكر نماذج لهم
في مختلف أبواب الشريعة ، كذلك ماهي المقدمات والمهارات المنهجية التي
يحتاجها الطالب لاستمداد تراثهم والانتفاع به ، ثم الحديث عن الإمام ابن تيمية رحمه
الله ومشروعه ومعالم منهجه ، ثم مقدمات مهمة في باب تزكية النفس
والاستقامة والأخلاق ، وأهم الكتب التي صنفت في هذه الأبواب ، وحاجة
طالب العلم إلى معرفة باب التزكية وتحرير مسائله ، ولماذا يحتاج طالب العلم
أن نفقه باب تزكية النفس وأعمال القلوب والأخلاق ولماذا يجب عليه أن يحرر
مسائله وأن يستقي تفقهه ، ثم الحديث عن أصول الخطأ في كتب التزكية
والزهد والرقائق والاستقامة ، كذلك أشهر الأخطاء المركزية في الخطاب الوعظي
والتي شرح عنها مجموعة من الأخطاء الفرعية ، ثم الحديث عن تراث الإمام ابن تيمية رحمه
الله في أبواب التزكية والاستقامة والأخلاق ، وموقعه في الدورات ، وتكليف
طالب العلم من هذه الدورات وماذا يجب عليه حتى يكون موضوع المنشور (نافعا
بإذن الله سبحانه وتعالى)

الأئمة المحققون: من هم وما صفاتهم وما آثار تراثهم وما فيه من الثراء في تكوين طالب العلم وكيف يقرأ طالب العلم لهم ليفهم وليستفيد من تراثهم

الأئمة المحققون هم أئمة الإسلام وعلماؤه على مختلف مذاهبهم الذين ترك لنا تراث محقق محرر في كل أبواب العلم المتنوعة ومسائله. المقصود من ليس من تحرير المسائل وتصويرها وجمع الأقوال وحججها وأدلتها وكيف ميزوا ما حرروا ثم رجحوا ومرروا واستدلوا وناقشوا؟ هؤلاء الأئمة من أمثال الإمام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن الشيباني ومالك والشافعي وأحمد وابن معين وعلي بن المديني والبخاري ومسلم والنسائي والطبري وابن خزيمة والدارقطني وابن أبي حاتم والجويني والغزالي والسبكي وابن تيمية وابن القيم وابن رجب الحنبلي والشاطبي وابن الصلاح وابن كثير والذهبي وابن حجر [illegible] وأشباه هؤلاء من أهل العلم. هؤلاء الأئمة لهم ميزات فاصلة في تراثهم

هؤلاء الأئمة اعتنوا بجمع الأقوال في المسألة واعتنوا كذلك بتحرير صورة المسألة وبيان محل النزاع ثم اعتنوا بذكر الأقوال بأدلتها ووجه الاستدلال فيها ثم وصلوا إلى نتيجة فاستدلوا لها واعتنوا بعرضها ثم ناقشوا ما يمكن أن يعترض به على أقوالهم ثم أجابوا عن هذه الاعتراضات ثم ناقشوا الأقوال المخالفة واعتبروها

وتراث الأئمة المحققين هو عبارة عن أمرين: الأول: مقالات ونتائج

والأمر الثاني: منهجية وطريقة أي كيف بحث الأئمة المسائل وكيف نظروا فيها وكيف استدلوا وكيف أسندوا الأقوال وكيف ناقشوا المخالفين وما هو منهجهم في الاطلاع لكي يعرضوا المسائل.

4- كيف نبدأ في الاستقراء لتراث الأئمة المحققين؟ كيف نقرأ الكتب لنختار
وما هي المنهجية [المنهجية] وما هي المهارات التي يحتاجها الطالب حتى تكون قراءته لتراث
الأئمة قراءة فاحصة ومن ثم نستفيد أكبر فائدة من قراءته؟

أولاً: نحتاج انتقاء الأئمة الذين نستطيع أن نتدارس تراثهم بهذه
الطريقة الدقيقة، أي ليس كل من تكلم في العلم نستطيع أن نقضي عمره على هذا
النحو، فالأئمة الذين اشتغلوا بتحرير المسائل وجمع الأقوال وذكر الأدلة
وبيان وجه الاستدلال وعللوا [illegible] في تحريرها وفهمها فهؤلاء هم
هم الذين نقضي معهم،
الأمر الثاني الذي نحتاجه: نحتاج أن يكون عندنا أرضية معرفية في الباب
الذي نحاول أن نستقرئه، وأن نعرف مقدمات هذا العلم، فلا بد أن
نفهم الباب الذي نقصد الاستقراء فيه وأن يكون لنا مطالعة في مقدماته
من الكتب والخطابات التي تسهل لنا الدخول في ذلك العلم ومعرفة أبوابه ومسائله
وتدرجنا في هذا العلم يعني إذا قرأنا [illegible] تكون مدخلاً لنا لمعرفة
هذا العلم ومعرفة أبوابه ومعرفة المسائل والإشكالات التي تذكر في هذا العلم
هذه خطوة أولية مهمة وهي بمثابة الكشاف الذي يجعلنا نتنبه أثناء قراءتنا لتراث
الأئمة أن هذه مسألة وأن هذه فائدة وأن هذه فيها كذا وأن هذا
إشكال، وأن هذا جواب الإشكال، وهكذا، وبناءً على ذلك
نستطيع أن نحدد العناصر التي نحتاج أن نستخرجها.

ثالثاً: تحتاج أن تتعلم مهارات ستحصل لك بسببها شيئاً فشيئاً وستعمل على
تحصيل متميز واستفادتك مما تقرأ. المهارات التي يحتاجها طالب العلم كثيرة
مناسبة للعادة البشرية عند الأخذ بالأسباب. وكذلك طالب العلم لا بد له أن
يمضي سنوات حسنة أكثر وأن يتعلم حسن القراءة والفهم وكيف يلتقط الفائدة
والفوائد والمسائل ويتعلم كيف تقدير الفائدة وقدرها وأين تقع الفائدة التي
تحصل عليها وأي باب يلحق به وكيف يرتبطها وكيف يستثمرها وكيف يجمع
النظائر وكيف يرتب الأشباه والنظائر وكيف يعبر على المواضيع الجزئية
لكل كتاب تقرأه حتى يحسن تلخيص أفكاره كذلك ما هي أهم المسائل وما هي
أخص مقاصد المؤلف؟ ويتعلم كذلك كيف يدخل على كل كتاب فكأنه عناصر
تطلب فوائدها بحسب الكتاب ومؤلفه وبحسب هدفه من الاستقراء وبحسب
منزلة هذه الأهداف؛ طالب العلم يجب أن يسعى في تحصيل أدواته
لأنه لا يعرف متى يحتاج إليها أثناء الاستقراء من هذه المهارات مهارة
القراءة: أن يتعلم كيف يقرأ، يحسن القراءة، يحسن تقسيم الكلام إلى
فقرات، يعرف أين بدأت الفقرة ولماذا ابتدأت وماذا أراد أن يتكلم المؤلف
ولماذا اعترض في هذه النقطة كذلك مهارة الفهم والاستيعاب كل هذه
المهارات تأتي شيئاً فشيئاً. ومهارة التذكر والحفظ من المهارات
المهمة التي لا يستغني عنها يجب أن يتدرب ويتعلم من حفظ الأدلة
حفظ كتاب الله وحفظ الحديث الشريف وحفظ كلام أهل العلم بالمدارسة والتكرار

كذلك ينبغي على طالب العلم أن يتعلم مهارة التفكير وتحليل النصوص وتفسيرها
في تمييز ما فيه من القول الذي عرض الحجة لكنه سيرد عليه، وبين دليل ذلك
القول، وبين ما يعترض به على ذلك القول، وكيف يناقشه، وما هو قوله
ولماذا استدل له وكيف استدل.

كذلك أيضا مهارة البحث ودراسة المسائل، وكذلك مهارة الاستدلال والوصول
والتقرير في كيف يصل من يعرف مسألة أو مسألة تقدر على أن يفصل. كما قال
الإمام ابن تيمية رحمه الله: ليس كل من يعرف الحكم يحسن الاستدلال، وليس
كل من يحسن الاستدلال له يرد من يخالفه.

وكذلك مهارة النقد والاختيار والتمحيص في كيف تختبر المقالات، كيف تختبر
صحة الاستدلال، وكذلك مهارة الحوار والمناقشة والمناظرة في كيف تتحاور
ما هو أدب حواره مع شخص يخالفك وتناقشه، وتحسن هذه المناقشة وتديرها.

من الأمور التي ينبغي أن يتعلمها طالب العلم مصادر المعلومة وسبل تحصيل طالب
العلم، فهو يدخل في العلوم يحتاج أن يتعلم ما هي الوسائل التي توصل إلى العلوم،
فمثلا ينبغي إذا كان لك معلم ينبغي أن تتعلم كيف تحضر درسا له وكيف يكون
حضورك مثمرا، كيف تحضر لهذا الدرس، وما واجبك أثناء الدرس وقبل الدرس
وبعد الدرس، وينبغي أن تتعلم كيف تحضر الدورات، وكيف تحضر أيضا قراءة
ذاتية تمارس بها التعلم الذاتي، فينبغي لك أن تتعلم كيف تستفيد من الدروس
المسموعة والمرئية. وينبغي أن تتعلم كيف تطالع وتقرأ قراءة سريعة

للكتب الشرعية مثل كتب التاريخ وكتب السيرة والكتب التي فيها قصص لا تحتاج
إلى قراءة تفصيلية. تحتاج أيضاً أن تتعلم كيف تذاكر كتاباً صعباً وكيف تذاكر
كتاباً مركزاً في العلم، تحتاج كذلك أن يكون عندك جدول للحفظ ولو قليل يومياً
أو حسب إمكانياتك. وتحتاج أن تتعلم كيف تجرد المطولات مثل كتب السنة والموسوعات
العلمية كتفسير الطبري أو تاريخ بغداد أو تاريخ دمشق أو صحيح البخاري، وكيف تتعلم
كيف تقرأ قراءة سريعة لمسند أحمد مثلاً هذه الكتب تحتاج أن يكون للمرء فيها
كذلك جدول لتخصيص الكتب المهمة حتى يراجعها بصفة دورية. وتحتاج أن تتعلم
كيف تلخص البحث. وما هي أهم وسائل تحصيل العلوم - المدارس الحكومية.
صعب أن يكون لك مجموعة تجتمعون بالإيميل أو عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي
صعب أن يكون لك مجموعة فتشتركون في نفس العلم ولكم نفس الأهداف
فالمدارس الحكومية من أهم ما يكون لطالب العلم حتى وإن كان من يدرس فيها أقل
في المستوى.

ومن ضمن الأمور المهمة أن يتدرب الطالب على تحضير الكتب للتدريس، فأنت
مثلاً حضرت كتاباً شرح لك الأستاذ أن تتعلم كيف تحضر هذا الكتاب للتدريس لكي
وتتعلم كيف تحضر محاضرة لمدة ساعة مثلاً - تحضر محاضرة عن تزكية النفس
مثلاً أو وسائل الثبات على دين الله أو محاضرة عن تربية الأبناء أو سيرة أعلام
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذلك تتعلم كيف تخطب، كيف تلقي كلمة، كيف تشرح

وكذلك ينبغي أن يكون لك كتب تحل فيه مسائل مختارة تقرر عليك للدراسة.

كأن تأتي بحديث صحيح وتحاول أن تخرجه مما قيل فيه أو تأتي بآيتين أو حديثين ظاهرهما التعارض أو تأتي بحديثين ظاهرهما التعارض أو آيتين أو تأتي بمسألة مشهورة كمسألة الخروج على الحاكم فتعرف المشهور وتجمع الأدلة فيها، هكذا.

فينبغي أن تنوع في تحصيلك العلمي وتهتم بأن يكون لك أكثر من سبيل في تحصيل العلم أما أن تهتم فقط بمجرد القراءة أو حضور الدروس فلا يكفي، ينبغي أن يكون لك تنوع في مصادر المعرفة، لأن كل مصدر يفيدك أمرًا خاصًا لا يفيده الآخر.

إذًا كلما تنوعت السبل وكثرت وسائل تلقي العلم كلما تكثرت ثمار التلقي للطالب.

رابعًا: في الاستقراء يحتاج الدارس للتراث أيضًا أن يفرق في كلامه بين موضع الدراسة المفصلة للمسألة وبين الموضع الذي ذكرها فيه قولًا دون التفصيل أو الاستدلال. كأن تقرأ كلامًا للإمام ابن تيمية رحمه الله قال فيه قولًا لكنه لم يعتني فيه بتحرير القول، لا بتحرير المسألة ولا ذكر الأقوال ولا ذكر وجه الاستدلال من الأدلة ولم يناقش، ذكر فقط اختياره أن الراجح كذا، لابد أن تفرق بين هذا الموضع وبين الموضع الذي تحقق فيه بإطالة ابتداءً قاصدًا يذكر فيه المسألة المشهورة والأقوال ووجه الاستدلال لكل قول ويناقش ويصل إلى شيء ويكتب فيه التأصيل ويرد على المخالف، لابد أن تفرق بين الموضع أو المسألة أو البحث التي تذكرها وبين الموضع الذي فصل فيه كلامه

الإمام لمسألة مسألة وتعليل خلافه لأقوال الذين يخالفونه ذلك.

كيف نقرأ لنستخلص منهجية إمام ما ؟

أن أقرأ أسأل هذه الأسئلة أولاً: ما هي القضية أو المسألة التي يعالجها هذا الإمام ثانياً: ما هي النتيجة التي يريد المؤلف الوصول إليها؟ ثالثاً: كيف يثبتها وكيف يقررها. بماذا يبدأ، كيف جمع الأدلة، وما هي المصادر التي اعتمد عليها؟ كذلك كيف يعرض الأقوال كيف يناقش، كيف يرد على مخالفيه وإذا وصل إلى نتيجة كيف يقررها، كيف يعرضها وما هي الأصول التي بنى عليها قوله في مسألة ما، وما هي أدلته وما هو وجه الاستدلال، كيف ناقش ما يشكل على قوله، كيف ناقش الأقوال المخالفة له. بهذه الصورة يستطيع طالب العلم أن يغنم فوائد كثيرة من قراءته، ولا يكون همه فقط أن يقرأ العلم لنفسه.

لماذا الإمام ابن تيمية رحمه الله؟ وما هو مشروع هذا الإمام الكبير العلمي وما هي معالم مشروعه؟ وما هي المميزات التي تميز بها هذا الإمام؟ كيف يسهم هذا الإمام في تكوين طالب العلم علمياً ومعرفياً ومهارياً.

ابن تيمية أحد أكابر أهل العلم (الإسلام) الذين في تفسير الدين انضبطوا أي رجعوا للمصادر الشرعية، العلم بدين الله وهدي النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة الكرام وبيان هذا الدين ورد كل ما يعارضه ومجاهدته في سبيل ذلك والصبر.

الإمام ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني المتوفى عام ٧٢٨ هـ عن سبع وستين عام وثمانية أشهر وعشرين أيام، ونقله من الصحف هذا أن من هجر هذا الإمام ومن أهم الكتب التي ترجمت له كتاب الجامع لما كتب عن الإمام خلال سبعة قرون وهو كتاب لمحمد عزير شمس - الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون - طبع دار عالم الفوائد إشراف الشيخ بكر أبو زيد - محمد عزير شمس وعلي بن محمد العمران - كذلك من الكتب المهمة المذكورة التي ترجمت للإمام وذكرت عن حياته وثناء العلماء عليه وجهاده وجهوده ومصنفاته كتاب بعنوان معجم ما طبع من مصنفات شيخ الإسلام للدكتور أحمد [illegible] السلام رحمه الله.

شروح الإمام ابن تيمية رحمه الله: هذا الشرح يتكلم عن تخصص في أربع مقامات

المقامة الأولى: فقه الشريعة إيمانا وأحكاما وعبادة من الوحي من بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة الكرام = ابن تيمية رحمه الله أراد من فقه شريعة الإسلام في أبواب الإيمان والأحكام والعبادة والتزكية من خلال الوحي ومن خلال بيان الوحي وهو هدي النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلال ما كان عليه الصحابة الكرام وجعل ذلك المنطلق في جميع أبواب الدين في الإيمان وفي الأخلاق وفي الأحكام وفي الاستقامة وفي الولاية وفي كل الأبواب. فجعل الوحي وهدي النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة المنطلق من جميع أبواب الدين وجعله المرجع عند التنازع أي عند الخلاف تكون هو الفاصل عند التنازع وكذلك جعله الميزان الذي توزن به جميع الأقوال والملل والمذاهب والمقالات.

المعلم الثاني لمشروع الإمام ابن تيمية: العلم بالفرق والمقالات والملل ونحوها والعلم بحججها والعلم بالأصول التي بنيت عليها: الإمام ابن تيمية يعدها

أقصى نقطة يدركها الإسلامي من خلال الوعي أقصى مراحل المرحلة الثانية بأن يعرف كل الفرق والمقالات والملل، وأن يفهم هذه الفرق كيف نشأت وأن يفهم مراحل تطورها وأن يفهم مقالاتها وأن يعرف حججها وأن يعرف الأصول التي بنيت عليها

الأمر الثالث من مشروع الإمام: بيان الحق في جميع أبواب الدين بحجة من الوحي ومن هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان بشكل حجة متكاملة متماسكة: فبعدما عرف الحق وعرف الباطل وعرف المقالات الفاسدة التي تنسب إلى الأديان أو الإسلام أراد أن يبين الحق بحجة وأن يشرح هذا الحق وأن يفصل فيه وأن يستدل له بشكل حجة متكاملة

الأمر الرابع والأخير: بيان المقالات الباطلة في جميع أبواب الدين وشرح هذه المقالات وبيان على ماذا استندت وما هي الأصول التي بنيت عليها وكيف نشأت ثم نقد هذه المقالات وردها.

مقالات الإمام ابن تيمية شرحها ونقدها :-

قال الإمام مجيبا لمن سأله عن عقيدته قال رحمه الله « أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه سلف الأمة

وقال كذلك «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة»

يقول الإمام ابن تيمية أن من أعظم البحث والنظر في أي مسألة تخص دين الإسلام ينبغي أن يكون النص وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ثم التابعون لهم بإحسان

قال أيضاً رحمه الله «ينبغي لمن أراد أن يعرف الإسلام أن يتأمل النصوص النبوية ويعرف ما كان عليه الصحابة والتابعون وما قاله أئمة المسلمين ليعرف المجمع عليه والمتنازع فيه» أي ينبغي إذا أردت أن تتفقه في أبواب الشريعة أن تجمع ما جاء في الباب من النصوص ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة ثم أقوال التابعين وأئمة الإسلام لتعرف ما الذي أجمعوا عليه وما الذي تنازعوا فيه

* معنى المقصد التزكوي أثناء طلب العلم: ابن تيمية يعلمك كيف تستحضر معاني التزكية والنية الصالحة وأنت تدرس الشريعة

قال رحمه الله "فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى"

العامل بالنص أراحه الحق وليس المراد أنه يستغني بقوله [illegible] افتقر العبد إلى ربه ودعاه واستعان بالله ثم لا يفهم، أن لا يفتقر إلى سلوك الأخذ بأسباب الفهم؟ ذكر الإمام رحمه الله أن هذا المنهج في معظم الأبواب منهج أنه يذكر ما جاء في الشريعة وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ثم يذكر الخلاف أو الأقوال المخالفة ثم يرد هذه الأقوال المخالفة للحق.

قال رحمه الله في كتاب الإيمان الأوسط "ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مع ما يستفاد من كلام الله تعالى فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله ورسوله ﷺ فإن هذا هو المقصود فلا نذكر اختلاف الناس ابتداءً بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ما يبين أن رد موارد النزاع إلى الله وإلى الرسول خير وأحسن تأويلاً وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة"

يريد أن يقول لك حينما تدرس باباً من الأبواب أصّل المتعلم من النصوص ثم اجعله المحكم والمرجع ثم يرد به كل الأقوال وكل الاجتهادات وكل الفرق وكل الملل. وأنه لا يمكن مع ذلك أن تصيب هدي النبي صلى الله عليه وسلم وفهم الصحابة الكرام وتركك ما كان عليه الأئمة الكبار والتعمق للنصوص بأجمعها

وقال كذلك في الحديث عن دلالات الألفاظ الشرعية رحمه الله «ومن أنفع الأمور في معرفة دلالات الألفاظ مطلقاً وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس من جملتها مسألة الإيمان والإسلام فإن النزاع في مسماهما أول اختلاف وقع افترقت الأمة لأجله وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة وكفر بعضهم بعضاً وقاتل بعضهم بعضاً كما قد بسطنا هذا في مواضع أخر إذ المقصود هنا بيان شرح كلام الله ورسوله على وجه يبين أن الهدى كله مأخوذ من كلام الله ورسوله بإقامة الدلائل الدالة لا بذكر الأقوال التي تقبل بلا دليل وترد بلا دليل أو يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول فإن الواجب أن يكون المقصود معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالأدلة الدالة على ما بينه الله ورسوله»

ابن تيمية يريد أن يقول إنه من قبله لأي مسألة ما يحتاج إلى أمرين: أن تقصد الحق وأن تأخذ بالأسباب وأعظم الأسباب أن تنظر إلى النظر في الوحي وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام وأن تزن كل الأقوال بهذا الميزان.

ولما ناقش الإمام ابن تيمية تعلق الخاصية في الألفاظ الشرعية قال «فهذا احتاج الناس إلى شيئين: أحدهما معرفة ما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بألفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا لغة القرآن التي نزل بها وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب ليعرف المعاني الموافقة للرسول والمعاني المخالفة لها».

هنا يتبين أن الألفاظ تتبع السنة أو القرآن أو النص أو الصحابة أو العلماء
هذه الألفاظ حتى يدرك ولا سيما منها أن يتعلم اللسان الأول الذي نزل به القرآن
وأن ينظر في تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأئمة الصحابة الكرام ثم ينظر بعد ذلك
هل استعملت تلك الألفاظ بتلك الدلالات أم لا أي تحمل الألفاظ هذه المعاني

قال كذلك رحمه الله في حديثه لمن عندنا من الخصوم بأن كل دليل صحيح إنما يدل على
الحق فقال رحمه الله « إن جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها يحتج عليهم
لا لهم وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتاب الله وكلام
أنبيائه كان نفس ما احتجوا به دليلا على فساد قولهم وذلك لعظمة كتاب الله
المنزلة وما نطق به أنبياؤه فإنه جعل ذلك هدى وبيانا للخلق وشفاء لما في
الصدور فلابد أن يكون في كلام الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ما يفصل بين
المختلفين فما يفرق الله به بين الحق والباطل والصدق والكذب لكن الناس يكونون
من قبل أنفسهم لا من قبل أنبياء الله تعالى » في رده على بعض النصارى الذين
ادعوا أن دينهم هو الحق في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)
يريد أن يقول إنه ثمة: كل دليل يستدل به على الباطل إذا تدبرت فيه فإن
نفس هذا الدليل يدل على الحق ويدل على بطلان الباطل، يريد أن يقول أن
هؤلاء الذين استدلوا بالدليل لكنهم أخطأوا فيه ولو أنهم تأملوا وركزوا
في هذا الدليل لاستطاعوا أن يستخرجوا منه بيان الحق وبطلان الباطل.

فائدة: أي كتاب تقرأه ويصعب عليك فهمه فيحتمل أن يكون قبله كتب أو مقدمات أنت لم تأخذها، فلا بد من التدرج.

قال ابن تيمية رحمه الله: (قال الله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فأنزله هداية للناس وبينات من الهدى والفرقان، فهو يهدي الناس إلى صراط مستقيم من ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذي له ما في السموات وما في الأرض بما فيه من الخبر والأمر، وهو بينات ودلالات وبراهين من الهدى من الأدلة الهادية المبينة للحق، ومن الفرقان المفرق بين الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب والمأمور والمحظور والحلال والحرام، وذلك أن الدليل لا يتم إلا بالجواب عما يعارضه، فالأدلة تشتبه كثيرا بما يعارضها، فلا بد من الفرق بين الدليل الدال على الحق وبين ما يعارضه لشبهة من الذي عارضه، بل فالدليل يحصل به الهدى وبيان الحق، لكن لا بد مع ذلك من الفرقان وهو الفرق بين ذلك الدليل وبين ما عارضه والفرق بين حجة الرب والحجة التي تخالفه، فالفرقان الذي يحصل به التمييز بين المشتبهات ومن لم يحصل له الفرقان كان في اشتباه وحيرة، والهدى التام لا يكون إلا مع الفرقان، ولهذا قال أولا "هدى للناس" ثم قال "بينات من الهدى والفرقان" فالبينات الأدلة على ما تقدم من الهدى وهي بينات من الهدى، وهو دليل على أن الأول هدى ومن الفرقان الذي يفرق بين البينات والشبهات والحجج الصحيحة والحجج الفاسدة، والله أنزل في كتابه البينات والهدى

عند تصور الشيء يعني وجهة نظر الهدى ومن عرف دليل نبوته فقد عرف

البينات فالتصور الصحيح الهدى والدليل الذي يبين التصديق بذلك التصور

بينات »» يقول الإمام إن الإنسان إذا عرف الحق فقد حفظ حقوقه

لكنه يحتاج إلى معرفة أدلة ذلك الحق وأن يعرف بطلان ما يعارضه

من الباطل هذه هي الصورة المتكاملة التي أنزل لها القرآن

هدى للناس وبينات على الهدى والفرقان بين الحق والباطل

قال كذلك الإمام ابن تيمية «وليس كل من وجد العلم قدر على التعبير عنه

والاحتجاج له فالعلم شيء وبيانه شيء آخر والمناظرة عنه وإقامة

دليله شيء ثالث والجواب عن حجة مخالفه شيء رابع»

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول ليس كل شخص عرف الحق يقدر أن يعبر عنه

أيضاً شخص عرف الحق وعبر عنه ولكنه لا يحسن الاحتجاج له، وشخص آخر

يحسن الاحتجاج له لكنه لا يحسن أن يناظر عنه وأن يدافع عنه وأن يجيب عن

الشبهات التي تثار حوله وأن يرد الباطل هذه هي الصورة المتكاملة أن تعرف

الحق وأن تعرف حجته وأن تستدل له وتحسن التعبير عنه وأن ترد الباطل.

قال الإمام رحمه الله «ولابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها

الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت وإلا فيبقى

في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم»

يريد أنه ينبغي أن يجمع بين أن يتعلم المسائل المسؤولة المتفرقة في الأبواب

ودون أن يعرفوا القواعد والكليات والأسباب الذي تفرعت عنه تلك المسائل

فإنهم لا يستطيعون أن يعرفوا الجزئيات والكليات

قال كذلك الإمام فبيان هذه النكتة الدقيقة ما درجة؟ إلا مسائله وأنه يعقد السبيل

ينبغي أنه يعني على معرفة هذا الباطل ومعرفة أدلته وكيف نشأ.

قال رحمه الله فهو بيان أهمية العلم بالمقالات ونشأتها وأصولها قال "وكل

من كان أعرف بنشأة الباطل كان أعرف بصحة الحق" فالذي ذاق الجوع

هو الذي يقدر معنى الشبع والذي ذاق الخوف هو الذي يقدر معنى الأمن والذي

ذاق الفقر هو الذي يقدر معنى الغنى، كذلك الذي خبر الباطل هو الذي يعرف

قيمة الحق، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان

وقال "وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن

يقذف في النار" لذلك ذهب من الكفر وذاق حلاوة الإيمان فلا يمكن

أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

قال رحمه الله أيضا "إن معرفة أصول الأشياء ومبادئها ومعرفة الدين وأصله

وأصل ما تولد فيه من أعظم العلوم نفعا إذ المرء ما لم يحط علما بحقائق الأشياء التي

يحتاج إليها يبقى في قلبه حسكة، كما أن معرفة المرض وسببه يعين على

مداواته وعلاجه، ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة لم يحط

من مداواة أصحاب إزالة شبهتهم » يريد أن يقول كيف تداوي وأنت لا تعرف
لا تعرف ما شبهتهم حتى العقول ولم تعرف أدلتهم، لا تعرف شيئاً ولا تعرف ربما كيف
تستطيع أن تنقض هذا الباطل وكيف تستطيع أن تداوي أصحابه. فمن بعد
مداواة أصحاب إزالة شبهتهم لأنه يعلمهم رحمة. علم بالحق ورحمة بالخلق
أي تحب الخير لهم وتكره ما هم فيه من شبهتهم وتشفق عليهم وتحب لهم الخير
وتكلمهم باللغة التي يحبون لا تقسو عليهم بما عندهم من جهل لأنك تريد لهم الخير
قال الله تعالى في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » حريص عليكم وعزيز عليه
أن تكونوا على شر حريص لكم الخير. كل إنسان دخل في طلب العلم أراد
أن يتعلم ويأخذ حظوظه وأن يعرف الحق وأن يدعو إليه وأن ينصح الناس
على ما يجب أن يصيروا على الحق فهو على طريقة الأنبياء. وكل من دخل هذا الدين
لدنيا أو لمنزلة أو ليدعو إلى نفسه وجماعته ويريد أن يحقق حظوظه لا يحب
الخير لهم ولا يريد أن يهديهم فهو لا يدعو إلى الله ليس على سبيل المرسلين.
قال الإمام ابن تيمية رحمه الله أيضاً في بيان أسباب ظهور البدع الكلام بالباطل
المفصل ونحوه وردها. قال رحمه الله « وكثير ممن [illegible] لا يكمل
النقص من ذلك في حجة المعروفة بالفلاسفة الجهمية والقدرية ونحوهم الذين لا يعرفون
في كتاب الله وعلماء بالعقل الصريح ما كانوا يظهرون عليه من ذلك

وهذا ولله الحمد مما زادنا الله به هدًى وإيمانًا، فإنه يفيد المعارض مع تأييد

معرفة الحق وتقريره وكل من كان أعرف بالحق والباطل كان أعرف بحقيقة الحق

ويروى لنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة

إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية» وهذا حال كثير ممن نشأ في عافية الإسلام

ولم يعرف ما يعارضه فليس له حافز فإنه لا يكون في قلبه من تعظيم الإسلام مثل ما في

قلب من عرف الضد منه» يريد ابن تيمية أن يقول: إن من أعظم أسباب تمكن

الحق أن تعرف الباطل وأن تعرف حججه ثم أن تعرف كيف ترد هذا الباطل فإنما

ما تعرفه إنما علمه وتحيط بالحق

قال الإمام رحمه الله أيضًا في بيان أنه يجب إذا ورد الباطل أن نرده ولا نقره

وأيضًا فنفيه إذا أردت أن تناظر من الإسلام ظهور ما يدل عليه الحق ورد الباطل فعليك أن ترد

على طريقته كلها؟ قال رحمه الله في نقض ردوده بعد ما نقض هذا الباطل من ثلاثة

قال «ومقصودنا من هذا الرد على طريقة ما تقوله أن كذب ما تعتمدون عليه من طريقة

أهل الحديث» كان يرد على الرافضة وبين أنهم اعتمدوا على أدلة وكذبها. قال

«ومقصودنا أن نذكر ما تارة بالنقل وتارة بما علم من القرآن وتارة بما علم بالتواتر وتارة

بما أجمع عليه الناس كلهم» منهاج السنة في الرد على الشيعة القدرية - فيبين أنه رد

الباطل على طريقة ومكمن؟ وهنا فائدة مهمة جدًا في الإمام ابن تيمية أنه كان

لا يكتفي برد الباطل ورد الشبهات كلية مع ذلك ليس مكتفيًا بالجواب عن كل شبهة

لكنه يكتفي بذكر المسلمات القطعيات التي تثبت الحق وتجتث الباطل

من سلامة منهجنا فضلاً من العرض لكل شبهة شبهة، فلا يستلزم وأنت تقرر
المنهج أن تستقصي كل الشبهات بل تأتي بأصول الشبهات وتردها، فمثلاً من ناقش
الرافضة الذين ينكرون إمامة الصديق أبي بكر والفاروق عمر وذي النورين عثمان رضي الله عنهم
وذكروا شبهات متفاوتة متنوعة فماذا قال ابن تيمية قال: «ومن جملة ذلك أن
كل ما يقدح في القادح فلا يخلو إما أن يكون أمراً لا نعلم صحته أو لا نعلم دلالته على بطلان
إمامتهم وأي المقدمتين لم يكن معلوماً لم يصلح لمعارضة ما علم قطعاً»
فيقول إنهم يقررون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بأدلة إما أنها كذب
أو ورودها لا يستدلون بها بأصل ثم قال «وإذا قام الدليل القطعي على ثبوت إمامتهم
لم يكن علينا أن نجيب عن الشبهة المفصلة كما أن ما علمناه قطعاً لم يكن علينا أن نجيب
عما يعارضه من الشبهة السوفسطائية، وليس لأحد أن يدفع ما علم يقيناً قطعياً
بالظن سواء كان ناظراً أو مناظراً بل إن تبين له وجه فساد الشبهة» ثم بين
الإمام أن إجابة الأئمة المتلاوة بنيت عندنا يقينية فلا يلزمنا ولسنا مشغولين بأن
نرد كل شبهة سوفسطائية يذكرها هؤلاء.

(فائدة) قدرة الاعتضاد بالمحكمات قبل الاعتضاد بالشبهات قال عنها ابن القيم
ابن عقده النظم بضيمه أو دوينه ابن تيمية. قال الإمام ابن تيمية شيخاً لابن القيم
تلميذه فقال الإمام ابن القيم قال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه وقد جعلت أورد
بعد إيرادات الشبهات
عليه إيراداً بعد إيراد «فقال ابن تيمية له: لا تجعل قلبك مثل السفنجة
متشربا فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة عن الشبهات

بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فإذا أشربت قلبك

كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات" أو كما قال.

يريد أن يقول له نعم يمكنك أن تعرفها لكن لا تجعل للإيرادات والشبهات

تلك سبيلها أولاً أن تعرف الحجج المحكمات وأن تنظر إلى الشبهة من خلال المحكم.

- فالعلم بالمحكم يغنيك عن التعرض لكل شبهة - ولا يلزم أن تعرف الجواب عن كل شبهة

ومع ذلك يمكنك أن تعرف الشبهة وتحاول أن تجيب عنها لكن أن تجعل هذه الشبهة

تقدح في المقطوع المحكم الثابت عندنا فهذا الذي حذر منه ابن تيمية وقال يجعل قلبك

كالسفنجة.

٣ تراث الإمام ابن تيمية على طالب العلم

تراث الإمام ابن تيمية من أهم ما يسهم في تكوين طالب العلم تكويناً علمياً منهجياً

ومعرفياً.

علم ترتيب المعنى بالأحكام والمآلات المطلوبة.

ومعلوم أن كثيراً من أبواب الشريعة جاء التعليل فيها بأحكام حكمتها وأسرار حكمتها

فالله سبحانه وتعالى عليم حكيم خلق الخلق لغاية عظيمة، خلق الإنسان ولم يتركه

سدى قال تعالى ((أيحسب الإنسان أن يترك سدى)) وقال تعالى ((أفحسبتم

أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق)) لذلك كانوا

الظن ظن الكفار الذين أنكروا حكمة الله قال الله تعالى ((وما خلقنا السماء والأرض

وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار»

الإنسان لن يحيى حياة طيبة إلا إذا علم حكمة الله من خلقه، الله سبحانه وتعالى
خلق الإنسان من أجل خلافته قال تعالى «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في
الأرض خليفة» وقال تعالى «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» فالله سبحانه
وتعالى خلق الإنسان لسعادته وحمله الأمانة قال الله سبحانه وتعالى «وحملها الإنسان
إنه كان ظلوماً جهولاً» إذاً الله حمّل الإنسان أمانة وخلقه للعبادة
لذلك كرمه «ولقد كرمنا بني آدم» الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان
عهد الله بعهد أن يكونوا عباد الله وأن لا يعبدوا الشيطان قال تعالى «ألم
أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني
هذا صراط مستقيم» فالله خلق الإنسان للعبادة خلقه ليبتليه
«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً»

الله سبحانه وتعالى لما أمر الإنسان بذلك هل تركه يصل إلى معنى العبادة
أو كيفية العبادة بنفسه؟ لا بل إن الله بين له طريق العبادة وبين له
الخير والشر وبين له أنه إن استقام على ذلك فإنه سيحيى حياة طيبة
فالله سبحانه وتعالى جعل للعبد مصادر المعرفة منها العقل والحواس والحس
والضمير والحكم والشرع ومن ذلك «الفطرة» فالله سبحانه وتعالى كما قال
فطر الناس «فطرة الله التي فطر الناس عليها» وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم
«كل مولود يولد على الفطرة» وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما [illegible] لأتمم صالح [illegible]

هذا من معنى الفطرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة» قال أخلقتين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال بل جبلك الله عليهما قال الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله فهذا يدل على أن من الأخلاق منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب.

إذا الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان يعرف نفسه أو يعرف العبادة من نفسه وإنما جعل له طريقاً يهتدي به ويسير له الخير من شرع من هذه الطرق الفطرة ولكن هذه الفطرة لا تكفي أن يعرف الإنسان كل المعارف وهذه الفطرة قد تتغير قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» إذا الفطرة قد تتغير وفي الحديث القدسي قال الله «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» وقال تعالى «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً» إذا الفطرة قابلة للتغير فلا يكفي أن تكون الفطرة وحدها كافية لأنها تتغير بالوجود ولا بد من وضع المنهج الصحيح للحياة. أيضاً من وسائل المعرفة «الحواس كالسمع والبصر» كما قال الله تعالى «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» ولكن السمع والبصر أكثر الناس لا ينتفعون به كما قال الله تعالى «ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله

وصلوا بهم ما كانوا به يستهزئون" وقال تعالى "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

كان عنه مسؤولا" فالحواس من مصادر المعرفة ولكن هل هي مصدر معرفة معتبر؟

ولا يعني أبدا أن تكون المعرفة بالحواس معرفة كاملة فالحواس لا تدرك الغائبات

أيضا من وسائل المعرفة ومن أعظم الوسائل "الفؤاد" القلب هو آلة

التعقل لدى الإنسان من تفكر وتدبر وليس العقل آلة وإنما هو لدى الإنسان وإنما العقل محل

التفكير هو القلب وليس ملكة قال الله تعالى "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم

قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"

فالله سبحانه وتعالى جعل القلب كالأداة من جعل العقل كالسمع [illegible] العقل عمل من

أعمال القلوب وقال الله تعالى "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"

هذا يؤكد أن القلب هو الذي يعقل ويتدبر وقال تعالى "لهم قلوب لا يفقهون بها"

العقل منزلة عظيمة بجانب الشرع والدين الإسلامي فلا تجرد معرفة العقل عن الشرع

باتباع تلك المعرفة بل قال الله تعالى "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم

تتلون الكتاب أفلا تعقلون" الله سبحانه وتعالى جعل العقل مكانة عظيمة والعقل

وإن كان مصدرا عظيما من مصادر المعرفة إلا أنه كان وسيلة من وسائل المعرفة فإنه

مثل البصر والسمع له مجال وله حدود فالبصر يرى ولا مجال له في [illegible] العين

لا تسمع ولا تشم ولا ترى من بعيد وكلها لها مجال ولا حدود كذلك العقل فعقل

الإنسان له مجال وله حدود

وبخطأ الرشدي عند الفلاسفة أنهم جعلوا العقل مصدر المعرفة وجعلوه
مصدراً لكل المعارف وهذا خطأ وعابوا من خطأ كما هو على طريقتهم
ويستكبرون المعرفة العقلية، العقل أحد أهم مصادر المعرفة لكن فيه نقصاً يجعله
لا يليق أن يستقل بالمعرفة، فالعقل قد يخطئ أحياناً فيرى الخير شراً والشر
الخير شراً كما قال الله تعالى "وكتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن
تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون"
عمر رضي الله عنه الفاروق الذي أثنى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على الصواب على
عقله قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر"
ومع ذلك عمر رضي الله عنه أخطأ في تقديره للأمور كما في صلح الحديبية لما رأى
عدم موافقة النبي صلى الله عليه وسلم على الصلح أننا قبلنا الدنية في ديننا وسمى الله
سبحانه وتعالى أن ذلك فتح مبين ونصر عزيز لذلك قال سهل بن حنيف
رضي الله عنه: اتهموا الرأي فقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أرد أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته.

إذاً أول نقص في العقل يجعله لا يمكن أن يستقل بالمعرفة أن العقل قد يخطئ
والأمر الثاني: أن العقول متفاوتة في الذكاء والقدرة على المعرفة لذلك الله
سبحانه وتعالى لم يجعل العقل وحده مصدراً للمعرفة بل أمر الناس بالاهتداء بالوحي
ـ الوحي مصدر أهم مصادر المعرفة الدينية ـ قال الله سبحانه وتعالى "

وخصوصية أن هداية الأنبياء الكرام إنما هي باتباعهم للوحي قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم "قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي" إذاً هداية النبي صلى الله عليه وسلم باتباعه للوحي.

فالوحي كالنور وهداية والعقل مع الوحي تماماً كالعين مع البصر، فالإنسان لا يحصل له الرؤية إلا بعينه أي ببصره، وكذلك بنور، فإذا اجتمع صحة البصر واجتماع النور تحصل الرؤية، كذلك بالعقل الصحيح السليم وبالوحي المنزل من الله تحصل الهداية.

لذلك قال الله سبحانه وتعالى عن الكفار أنهم قالوا "وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير" والله سبحانه وتعالى قال "ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم" لذلك الوحي هو الهداية الذي ينبغي أن يقبل من الناس وينبغي أن يرجع الناس إليه، قال الله تعالى "إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى" وأمر أن يردوا التنازع إليه "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا".

أحوج الناس عقولاً وأزكاهم نفوساً وأسلمهم قصداً هم الرسل لا يختلف اثنان مسلم في ذلك ومع ذلك هداية الرسل من الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى في قصة إبراهيم قال إبراهيم "لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين" والله سبحانه وتعالى قال لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا" وقال الله له "ووجدك ضالاً فهدى".

وقال تعالى «وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما» لذلك
كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر وانعقد الفؤاد أن يقول: «اللهم لا علم لنا
إلا ما علمتنا»

الحياة ابتلاء: إذا قرأنا آيات القرآن وتعلم الإنسان بحكمة من خلقه وتكليف
الإنسان ومسائل المعرفة والحديث عن الشيطان والابتلاء بالغضب والجزاء
الله سبحانه وتعالى في حكى لنا قصة آدم عليه السلام هذه القصة تعرض لنا
بعض الإنسان نفسه وكيف السبيل إلى تزكيتها والنجاة بها من الفتنة
من هذه القصة بين الله سبحانه وتعالى حقيقة الابتلاء والابتلاء بالتكليف والنجاح
والتكليف والطاعة فالإنسان مبتلى بما يخالف هواه والعمل في
بين ما يهواه الشيطان ويمنع الطاعة هذا هو ثمن الجنة قال الله تعالى
«وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى»

عندما استجاب آدم وحواء إلى دعوى الشيطان أهبطا إلى الأرض
ماذا قال الله تبارك وتعالى: بين الله لآدم عليه السلام وزوجه وذريته
من بعده أن هدايته على الأرض لن تكون إلا باتباع شرع الله المنزل من السماء
قال الله تعالى: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها
ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد

ومُلْكٍ لا يَبْلَى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة

وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى "

قال الله تعالى " قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى

فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى " منذ أول لحظة أنزل الله فيها آدم

عليه السلام وزوجه حواء وأنزل معهما الشيطان بيّن أن الهداية لا تكون إلا

ما يأتي من الوحي المنزل من السماء فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن

ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى

وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك

نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى "

إذا الهداية متعلقة بمصدر الدين لا تكون إلا بالوحي فمن اتبع هذا الوحي

ومن طلب هذا الوحي في أبواب العبادات والأحكام والرقائق والزهد والاستقامة

والأخلاق هذا هو الذي يحصل له الهداية، من طلب الهدى من الوحي ومن طبقه ومن تعلم

عليه فلا يضل ولا يشقى لذلك الناس درجات بحسب اتباعهم للوحي في المعرفة

والعمل

أصول الكلام في كتب التزكية والزهد والرقائق والاستقامة

باب الرقائق والزهد الذي سمي من هذه المسميات الحديثة وإن كان المسمى

الشرعي الصحيح هو تزكية النفس والاستقامة والصدق والإخلاص هذه

الأبواب أعظم ما ضل فيها من الناس كثير من طلب مسائل الأبواب من غير الوحي

فإنه لابد أن يضل وكل من طلب الأمر من الوحي دون أن يرجع إلى الهدي النبوي

صلى الله عليه وسلم وأن هدي الصحابة الكرام جاء كذلك مفصل.

إذا باب التزكية وباب الاستقامة وباب الأخلاق هو مثل باب الاعتقاد ومثل باب الأحكام الفقهية لا تؤخذ أبدا إلا من الوحي.

تزكية النفس: النفس تشعب الناس فيها وتكلموا فيها قديما وحديثا حاولوا أن يكتشفوا ما هو النفس وما يصلحها وما يفسدها وكتب شعارات كثيرة وأخطأوا من ذلك وتجد أحيانا كلامهم زاد المسألة غموضا وزاد الناس جهلا أكثر مما هو فكر من ذلك الفلاسفة أحيانا المنتسبون إلى الأديان والسبب في هو مثل تلك الانحرافات في باب تزكية النفس أو في كل الأبواب هو ترك الاهتداء بالوحي والاعتماد على غيره. ما وضع النفس وما وضع منهج لسيرها وصلاحها كما أكثر على الفلسفة ومنهم من اعتمد على العقل وحده ومنهم من اعتمد على الكشف مثل الصوفية ومنهم اعتمد على التفكير كما فعل الرهبان والعباد وهذا ما يرجع إلى الوحي فالخطأ الجامع لكل هؤلاء هو ترك الاهتداء بالوحي. أو بعض الناس يجعل باب الاستقامة مفتوحا لجميع أبواب الاجتهاد قالوا كل شيخ وله طريقة، لذلك قال ابن تيمية باب الاستقامة وأبواب العبادات مثل باب الاعتقادات لا تؤخذ إلا بالوحي

(فائدة): الأئمة العلماء اهتموا بتزكية النفوس والسلوك بالإصلاح علما وتفقها وعملا. وإذا قرأت في سيرهم ستعلم يقينا أنه من أعظم المطلوبات التي اهتموا عليها. فتجد هو الإصلاح هو تزكية النفس والإصلاح هذه ربما تكون أعظم ما نقل عنهم لأنه أعظم ما نقل عنه الإنسان عمله.

لذلك قال سيدنا شعيب (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا
الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله) أصعب ما تلقى الأشياء وأعظم ما يلقى
أي أن الإنسان يكون فعله موافقاً لقوله.

(فائدة) السعي الأعظم ما تحرص عليه في طريقك في طلب العلم أن تزكي نفسك
وأن تصلح نفسك، أن تسعى في سلامة قلبك، أن تحاول أن تنقي قلبك
من أمراضه، ينبغي أن تعتني بهذا أكثر من جمع المعلومات والمعارف.
وأن تتحلى بالأخلاق ومعاني الاستقامة والتزكية، النفس والحرص على سلامة القلب
وحب الخير للمسلمين هذا أمر أعظم مكونات طالب العلم.

كتب العلماء في الزهد والتزكية والإصلاح.

من الكتب التي أفردها العلماء لأبواب باب الزهد والتزكية والإصلاح
كتاب الزهد لابن المبارك، وكتاب الزهد لوكيع، وكتاب الزهد
للإمام أحمد، وكذلك تكلم الأئمة البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي
في كتبهم: تكلموا عن أبواب التوبة والتزكية والزهد كذلك الحارث المحاسبي
له مجموعة كتب صغيرة في الزهد والقرب للناس وكان فيه تصوف وكان يميل لقول
عبد الله بن كلاب من المتكلمين الكلابية وهذه أقوال المتصوفة وكان له كتب في ذلك
منها كتاب الرعاية لحقوق الله، وكتاب الزهد والتوكل، وآداب النفوس
ورسالة المسترشدين، وعندنا كذلك كتب ابن أبي الدنيا وهو من أكثر ما كتب

في هذا الباب وهو كتب منها محاسبة النفس، التوكل على الله، الورع والزهد
وذم الدنيا، حسن الظن بالله، والصمت، والرقة والبكاء.

وكذلك كتاب العزلة لأبي سليمان الخطابي رحمه الله وهو من علماء القرن الرابع الهجري
ومن أجل ما صنف كتاب الإحياء للغزالي رحمه الله. وعليه ما عليه من الأحاديث
الضعيفة وأيضا فيه مادة كلامية وفيه شيء كثير من التصوف البدعي لكن مع ذلك يمكن أن تستخلص
من هذا الكتاب بعض الفوائد.

كذلك كتب ابن الجوزي رحمه الله فيها مواعظ جيدة منها كتاب ذم الهوى وبحر الدموع
ومنهاج القاصدين، كتاب صفة الصفوة، وكتاب التبصرة [illegible]
وكذلك الأئمة الكبار الذين اعتنوا بهذا الباب الإمام ابن تيمية رحمه الله
وابن رجب الحنبلي الذي له كتاب لطائف المعارف، والإمام ابن القيم
له كتاب مدارج السالكين حاول أن يستخرج منازل السالكين للهروي وحاول
أن يشرحه شرحا سنيا.

لماذا ندرس هذا الباب - تزكية النفس.

الكتب التي كتبت قديما وحديثا في هذا الباب يجد مجموعة من الأخطاء
والمخالفات وكذلك في الخطاب الوعظي الذي نسمعه في خطب الجمعة والأقوال
نسمعه من كثير من الوعاظ فيها أخطاء وكثير من هذا الخطاب
لذلك احتجنا أن ندرس هذا الباب ونتعلمه ونعرفه لنعرف الطريقة الصحيحة
ما هو غلط الناس في هذا الباب وما أشهر الأخطاء في المواعظ وكتب التزكية

قلة الاعتماد على الوحي ، وكذلك تجد نفسهم على بغض الصحابة ومعاداة العباد

ويحبون الجهل والغرائب ويعيبون على الناس ويتكلفون في تصحيح أخطاء العباد

وفي تصحيح أخطائهم بخطأ وفي تصحيح أفعالهم المخالفة للهدي الظاهر في كثير

منها بالصالحة شرعية وكذلك الإنكار على العمل ولا يسلكون للناس هدي

النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة ولا يسلكون هدي الصحابة الكرام ولا

يحملون الوحي على القدر الذي يطيقون إلى أن لا يشعرون بحقيقة المسألة

ولا بتفصيلها ولا بالتفريق بين الصور المتشابهة تحت الباب الواحد ويعتمدون

على أحاديث ضعيفة وموضوعة ولا يهتمون بمعرفة شرح المسائل التي يكون

الناس فيها كذلك من أعظم الأخطاء أنهم حصروا مفهوم العبادة في بعض

شعب الإيمان لا يشغلون الناس عن بعضهم بحديث ولا الاهتمام بالكبار ولا الصغار

ولا صلة الأرحام فلا يأبه ويغرس للناس مفهوم العبادة شعب الإيمان كاملة

أعمالنا من حدود الشرع ، أنهم حصروا ، ولعل الله في العالم [illegible] الأعمال

عندما يتكلمون للناس عن العبادة كأنه [illegible] يتكلمون إلا في العبادة [illegible] الصيام

[illegible] فقد [illegible] حقيقة [illegible] يكون [illegible] لله [illegible] عليه [illegible]

[illegible] في مفهوم العبادة ـ [illegible] مفهوم العبادة [illegible]

[illegible] وسلم [illegible].

أيضاً مقتضى حرص الوصول إلى الله بالمشقة والصبر للشاذ من طريق الوصول إلى
الله شاق جداً هذا ما التبس هذا فأخذ من الرهبانية النصرانية المبتدعة.
كما كانت تفعل الكنيسة في العصور الوسطى.

وكذلك أيضاً من فكرة المشقة على ما نقول هذا ليس مضبوطاً وهو
أن لا أجر على قدر المشقة ولكن الأجر على قدر الاتباع وليس على قدر المشقة
بمعنى أن العبد إذا كان أمامه طريقاً ~~للعبادة~~ العبادة شاقاً وطريق ميسراً
فأخذه بالمشقة خالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي قالت عنه عائشة
رضي الله عنها ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً والنبي صلى
الله عليه وسلم سيد الأتقياء وسيرته وسنته تبنى عليها مثلاً كثيراً.
لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة > ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها > من أعلى
الدرجات وهكذا الجنة. كل هذا يبين أن الأجر لا يرتبط بالمشقة وإنما بالاتباع.
وإذا لم يلتزم العبد جوهر ~~الصيحة~~ ينحرف من خلاله بالعبادة إلا كان طريقاً شاقاً
فعليه يتوجه العبد على ما أمر في طلب من الحرام ولو ما يخشى جوازه وهذا
عندما كانت عائشة رضي الله عنها كانت ستقصر من التشعيع فقال أجرك
على قدر نصبك.
إذا الفكرة هي الرهبانية النصرانية تعلقت إلى كثير من المتصوفة والعباد
~~وفكرة أن الأجر بقدر المشقة مفهوم تعني أن المشقة مطلوبة لذاتها~~
لا المشقة مطلوبة لذاتها حكم أن يكون بعض الأعمال فيها مشقة نعم

النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تفطرت قدماه وكان يصوم في السفر أحيانًا وكان

بعض الصحابة يصوم في السفر مع هذه المشقة لكنها إرادة تنفل لكن بعضها لا كمال

يخالف هذا الحديث = (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) لكن يجب أن تكون هذه

المشقة مشروعة لا تخرج الإنسان عن طاقته.

النبي صلى الله عليه وسلم جاءه من أصحابه يسألون عن عبادته ثلاثة نفر: قال أحدهم

أما أنا فلا أنام ولا [illegible] وأما الآخر أصوم ولا أفطر، وأما الثالث قال [illegible]

ولا أتزوج النساء [مشطوب، وفوقه: النساء] فكل واحد منهم اختار الأشق فخالفوا الفطرة لذلك النبي

صلى الله عليه وسلم غضب ووعظ الناس موعظة بليغة فقال أما أنا فأصوم

وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وأنا أتقاكم لله وأخشاكم له فمن

رغب عن سنتي فليس مني فالنبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثًا كي [illegible]

أولاً: بيّن هديه: الهدي الوسط الذي يراعي العقل والفطرة وحاجات النفس

الأمر الثاني: بيّن أن ذلك هو الكمال في العبادة وليس بتكلفها تكلفًا.

ثم بيّن أنه من فعل غير ذلك فإنه على غير هديه [illegible]

وأخطر الأمور [illegible] أنه يقولون [illegible] [illegible] أن يطلب

الاستطاعة [illegible] ولا ينفع الإنسان [illegible] كل شيء ويتفرغ له.

كان يقرأ [illegible] [illegible] وأنا أصوم كل يوم

[illegible] [illegible] حقوقه.

عظمة القرآن وعظمة هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه هدي عظيم كعظمة
وعلينا العمل به وتبليغه كل أحد أن يتقدم به الطيب المتعدد الحق والفلاح
ربه المنزل ونعلمه الدرس والمقاصد من هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم
وسبيل؟ ما جعل عليكم في الدين من حرج ، يريد الله بكم اليسر ، والله يريد أن
يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، فلذلك
لم نستطع أن نبين للناس ونعلمهم فقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كثير الفقه
جانبا يتعلق بفقه أحكام من باب الولاية كل إنسان من موقعه عليه أن يكون وليا.

أيضا من أهم الأمور التي تخص عينا الخطاب الوعظي، فمن التركيز هو
عدم الاستناد لمعرفة رتبة العمل في الشريعة، فالأعمال مراتب فلا بد
أن تعرف رتبة العمل ورتبة سنته، لأنه من ثم تعطيها قدرها من العلم والفقه والدعوة
والجهاد والتذكير.

أيضا من البدع التي نشأت عند هؤلاء الوعاظ التركيز على الجهد الفردي
وإهمال الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقه الناس وإصلاحهم
ليس عندهم فقه تشخيص الآيات ولا تنزيلها ولا بتنزيلها ولا فقه الوقت.
ثم الاهتمام الفردي والتركيز الاستقرار والانغلاق الآن فقه: ترى أن نجاة
نفسه فقط من جهة ولم يحصل فقههم تعرفوا أن زكاة النفس من هو
أن تشارك في إصلاح الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (حديث السفينة)

(٣٦)

إذاً من أهم الأفكار في هذا الخطاب الإرشاد والنصح لغرض مواجهة [illegible] قيم الظلم
وتشجيع كثير من الناس وتقليل شرهم والأمر بالمعروف ومواجهة الظلم.

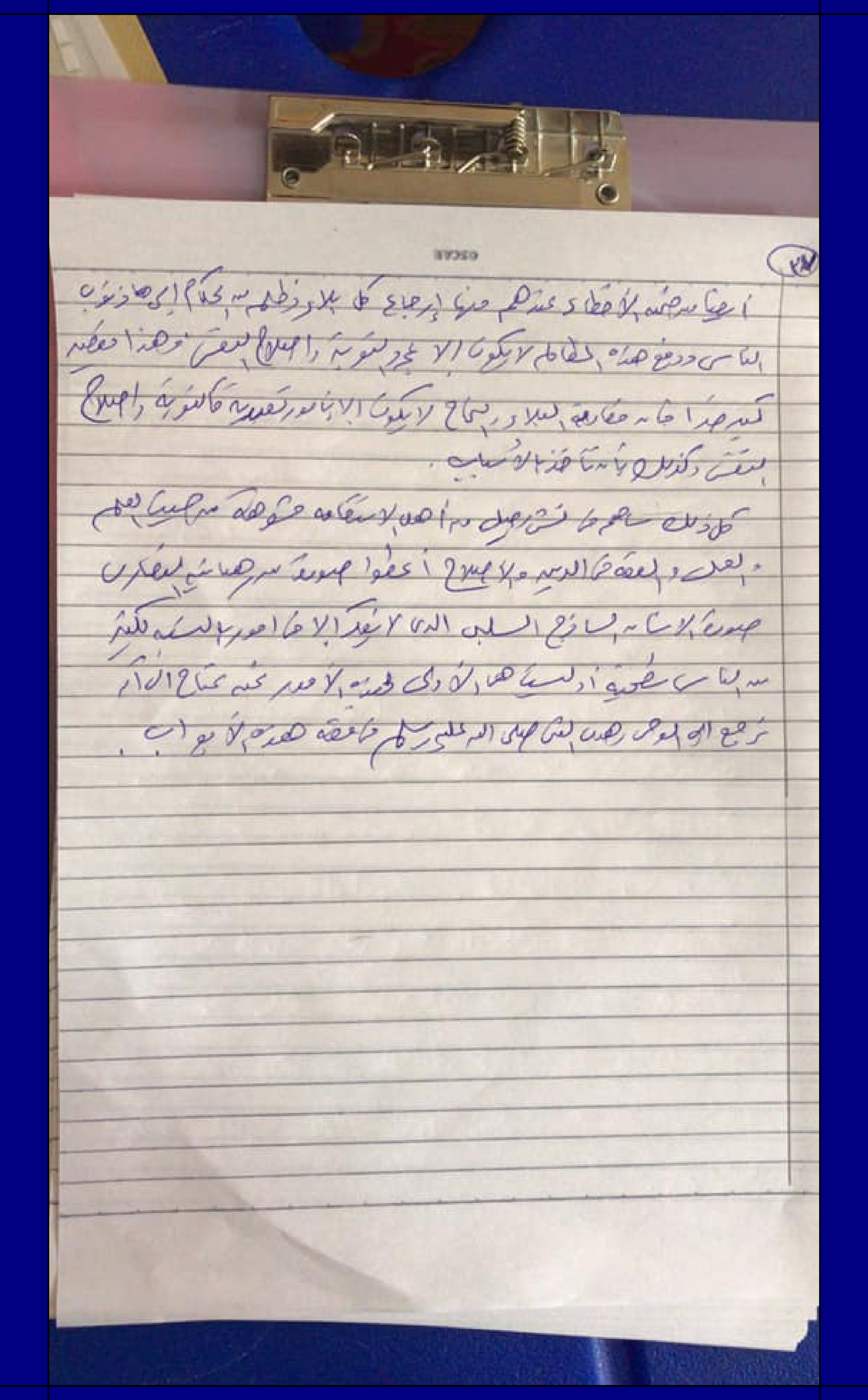
أهم سمة [illegible] الأمر إجمالاً بالأسباب وعدم الأخذ
والاستقامة والصدق دون رفع الظلم والأخذ بالأسباب.

أهم الأفكار: عدم تصوير الإشكال ما فوق الناس تصويراً وصفياً [illegible]
وتصويراً للناس حقيقة لا يستطيع الناس أن يستقيموا عليها وكل إنسان
[illegible] الناس [illegible] لا [illegible] أن يقع الناس في أمر [illegible]

أما أن [illegible] الناس [illegible] هذا الرجل لا [illegible] لهم الطريق الصحيح
[illegible] حتى [illegible] لهم [illegible].

أيضاً [illegible] الناس [illegible] المستقيم [illegible]
الاستقامة [illegible]. وعدم مراعاة الواقع الذي يعيشه
الناس [illegible] مراعاة [illegible] كلها أن يعيش
الناس به. [illegible] تستطيع أن تستقيم

الفقه والواقع [illegible] الناس [illegible]
[illegible] وأن [illegible] أكثر
شرهم.



أيضا من ضمنه الاقتصاد عندهم حيث إرجاع كل بلاء وظلم من الحكام إلى ذنوب
الناس ودفع هذا الظلم لا يكون إلا بمجرد التوبة والإصلاح للنفس وهذا فقط
كثير جدا في حالة مقارنة للبلاد ويتاح لا يكون إلا بالأمور العقدية كالتوبة والإصلاح
للنفس وكذلك بأهمية أخذ الأسباب.

كل ذلك ساهم في تشكيل [illegible] من أهل الاستقامة [illegible] مشوهة [illegible] لهم
للعلم والعقيدة الدينية والإصلاح أعطوا صورة [illegible] للفكر
صورة الإسلام [illegible] السلبي الذي لا يجد إلا في أمور [illegible] لكثير
من الناس [illegible] ولكنها [illegible] الأمور [illegible] تحتاج إلى أن
نرجع إلى [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الأبواب.

تزكية النفس والاستقامة

(المحاضرة الثالثة)
(العبودية)

معالم منهج الإمام ابن تيمية رحمه الله فيما كتبه في أبواب التزكية والعمل الصالح وأعمال القلوب والإصلاح.

تراث الإمام ابن تيمية رحمه الله في هذه الأبواب مشهود مع صحة العلم في كل أبواب التزكية وهو فرع عنه، وجعل الأصل في تلك الأبواب أن تكون من المعروف والثابت في الهدي النبوي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم وجعل المتكلم وهو المرد والحكم عند التنازع وكذلك جعله الميزان الذي تقرر به كل المقامات والأحوال في تلك الأبواب

من أقواله في ذلك رحمه الله أنه قال « وما العلم المشروع والنسك المشروع ما ثبت عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما جاء عمن بعدهم فلا ينبغي أن يجعل أصلاً وإن كان صاحبه معذوراً بل مأجوراً لاجتهاد أو تقليد فمن بنى الكلام في العلم الأصول والفروع على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين فقد أصاب طريق النبوة وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدي الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة وهذه طريقة أئمة الهدى »

ثم بين رحمه الله أن سلوك طريق الأئمة كان أمراً محموداً ثم قال « فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود » وقال رحمه الله في بيان أن هذه المسالك يرجع منها إلى الوحي

وذلك يكون القرآن يحكم بينها والميزان، قال رحمه الله: ((والمسائل السلوكية من جنس مسائل الاعتقاد

كلها منصوصة في الكتاب والسنة))

فائدة: اصطلاح السلوك هذا اصطلاح حادث لكن كان يسميه الإمام لأنه عبارة عن

أبواب التزكية والعمل الصالح والقربات والأخلاق.

حيث إن هذه الأبواب من جنس مسائل الاعتقاد كلها جاءت في القرآن وجاء تفصيلها

بأحسن طريقة وأهدى طريقة وأكمل طريقة ثم كانت طريقة من اعتمد على القرآن وهدي النبي

صلى الله عليه وسلم في أبواب الشريعة ومنها التزكية والعبادة فقال: ((وكذلك من تكلم

في التصوف والزهد فضل الأعمال والزهد من متأخري الزهاد فأعرض عن طريق الصحابة والتابعين كأصل

صاحب الرسالة أبي القاسم القشيري وأبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي وابن خميس الموصلي في مناقب

الأبرار وأبي عبد الرحمن السلمي في تاريخ الصوفية وكذلك أبو نعيم الأصبهاني صنف أيضا سير السلف

من الأبرار والصالحين وسير الصالحين من السلف كما صنف في سير الصالحين من الخلف وحكوا من ذكرهم

أخبار أهل الزهد والأحوال من بعد القرون الثلاثة من بعد إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض

وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي ومن بعدهم وأعرضوا عن حال الصحابة والتابعين الذين

نطق الكتاب والسنة بمدحهم والثناء عليهم والرضوان عنهم)) ابن تيمية رحمه الله هنا بين

أن هؤلاء الذين كتبوا في أبواب العمل الصالح والتزكية والاستقامة والأخلاق لم يجعلوا

القرآن منطلقا لهم ولم يجعلوا نصوص القرآن ولم يجعلوا هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا هدي

الصحابة الكرام في تلك الأبواب وإنما اعتنوا بجمع أخبار زهاد وعباد ورهبان فلم يكونوا

أبدا للاعتماد ولا للاعتناء على قدر ما هو عليه الصحابة الكرام ثم أعرضوا عن هؤلاء من ذكر حال

الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان الذين نقلوا الكتاب والسنة بدلالتهم وإشاراتهم
والرضوان عليهم. فبين ابن تيمية رحمه الله هنا أصل الغلط عند هؤلاء من كونهم لم
يتدبروا هدي الصحابة في بيان تلك الأبواب، ثم بين أنه يجب معرفة أحكام تلك
الأبواب ثم معرفة المقالات فيها ووزنها بالوحي. يجب في أي باب تريد أن تبحثه
أن تجمع ما جاء في النصوص فيه وأن تجمع هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيه وأن تجمع أقوال
الصحابة وأفعالهم في تلك الأبواب ثم تزن كل المقالات والأفعال بعد ذلك بالميزان.

قال رحمه الله «فإن معرفة أصول الأشياء ومبادئها ومعرفة الدين وأصله وأصل
ما تولد فيه من أعظم العلوم نفعاً؛ إذ المرء ما لم يحط علماً بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها
يبقى في قلبه حسكة» يجب في أي باب تدرسه أن تعرف الحكم ثم تزن كل ما يأتي بعد ذلك
من مقالات الناس واجتهاداتهم بهذا الميزان المحكم، فإذا لم تعرف المقالات في تلك المسائل وإذا
لم تضبط المسائل فإنه يبقى في قلبه ريب مما هو عليه. وهذا المعنى حققه الإمام رحمه الله
على نفسه فقد ذكر الإمام رحمه الله أنه كان في بداية طلبه يجتمع مع إخوان من طلبة العلم
وأنه ولكثير غيره كانوا يحسنون الظن بصفة مجملة ثم لما فقهوا الشريعة ووزنوا تلك المقالات
بميزان الشرع تركوها واستقاموا على الشريعة ثم تشددوا وحذروا منها. قال رحمه الله «وإنما كنت
قديماً ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه لما رأيت في كتبه من الفوائد (مثل كلامه) ولم نكن بعد
اطلعنا على حقيقة مقصوده ولم نطالع الفصوص ونحوه وكنا نجتمع مع إخواننا في الله نطلب الحق
ونتبعه ونكشف حقيقة الطريق فلما تبين الأمر عرفنا نحن ما يجب علينا فلما قدم من المشرق مشايخ
معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الإسلامية والدين الإسلامي وحقيقة حال هؤلاء وجب البيان».

وكذلك ذكر أن المتعصبين كما في مذاهب الآباء فإن ذلك يقول من لا علم لديه فيقول فيها

يقول أهل البدع من نشأ لنا ما جاء به الرسول دار الأقربين أن نتبع ما أنزل الله أو نتبع ما وجدنا

عليه آباءنا فلا بد الواجب هو اتباع الرسول وأن لا نتبع من قبلنا "وإذا قيل لهم اتبعوا

ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا"

كذلك الإمام كيف فإن أول بحره الكتاب وكرتبه [illegible] ثم لما شبه

فمنها رجع [illegible] فقال "ثم شبه لنا أن هذا كله من البدع المحدثة (أي لا أصل لها

في الشريعة" الإمام يريد أن يقول لنا إن المطلع فإنه أي مال [illegible] سيعرف أنه

يكون الصحيح ومصدره النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه صحابته الكرام ثم الذين يعرفون لهم ما جاء به

كما جاء [illegible] من جهل طريق [illegible] الصحابة من أبواب العلم والعمل ما هو من طريقه

الصحابة فقال ابن رجب رحمه الله "من جعل طريقة أحد من العلماء والفقهاء أو طريقة أحد

من العباد والنساك أفضل من طريقة الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع" كما ذكر فإن

منهم من خرج عن الشرع في أبواب العبادات [illegible] أنهم جعلوا

في الرهبانية المبتدعة فقال ابن رجب رحمه الله "ومن هذا أن غلاة الزهد والورع

حتى خرج به عن حد الشرعي [illegible] أمره إلى الرغبة [illegible] كما [illegible]

وحرب"

المعلم الثاني من معالم منهج الإمام رحمه الله فيما كتبه في كتب التزكية:

من منهج الإمام ابن تيمية رحمه الله أنه عظّم شأن العمل الصالح والعبادة وأعمال القلوب

فأدخلها فيما ذكره من أصول السنة في الرسالة الواسطية = لما كتب الواسطية وكتب فيها

ما ذا عليه أهل السنة أدخل ابن تيمية معاني العمل الصالح والعبادة وأعمال القلوب والأخلاق

في ذلك فقال عنهم " ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء ويدعون إلى مكارم

الأخلاق ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم " أكمل المؤمنين إيماناً

أحسنهم خلقاً ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها "

ثالثاً من معالم منهجه: يرى الإمام ابن تيمية ضرورة اتباع الألفاظ الشرعية في بيان المعاني الشرعية وترك الألفاظ المحدثة في عامة أبواب الدين:-

يرى الإمام أن الحكم الذي جاء به الشرع ينبغي أن يُعبّر عنه بنفس لفظ الشرع، قال

رحمه الله " الألفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة علينا أن نتبع ما دلّت عليه مثل لفظ الإيمان

والتقوى والإحسان والتوكل والحب لله " ومن ثم فإن الألفاظ المحدثة المجملة لا يجعلها

الحق بل هي سبب في اللبس والاشتباه ومن الواجب تجاه تلك الألفاظ أنها لا تثبت ولا

تنفى وإنما يستفسر عن مراد من يستعملها فإن قصد معنى شرعياً صحيحاً قبل المعنى واستعملت

ما يناسب ذلك المعنى اللفظ الشرعي الدال عليه قال رحمه الله " وأما الألفاظ التي ليست

في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها

أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقرّ به

بل إن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول ردّه. ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه
اشتباه أو إجمال عبّر بغيرها أو بيّن مراده بها بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي
فإن كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعانٍ مشتبهة».

يريد الإمام ابن تيمية رحمه الله بكلامه في هذه الفقرة: ينبغي أن نعبر عن حكم الله وما جاء
به الشرع بنفس لفظ الشرع وأن لا نستحدث ألفاظًا نعبر بها عن المعاني الصحيحة وبين كذلك
أنه إن استعمل ألفاظًا مستحدثة للتعبير بها عن معانٍ صحيحة أننا لا نقبل تلك الألفاظ ولا نردها
مثل: الجوهر - العرض - الجسم - الحركة - المعرفة، يجب أن نستفصل ونستفسر عن مراد
المتكلم بها فإن أراد معنى صحيحًا قبلنا المعنى لكن مع ذلك الأولى التعبير عن تلك المعاني
الصحيحة بالألفاظ التي جاء بها الشرع.
وذكر رحمه الله أمثلة عن تلك الألفاظ المحدثة التي لها معانٍ صحيحة ولها معانٍ ليست
صحيحة فقال رحمه الله «لفظ الفقر والزهد والتصوف قد أدخل فيها أمور يحبها الله ورسوله
كالتوبة والصبر والشكر وقد أدخل فيها أمور يكرهها الله ورسوله كالحلول والاتحاد والرهبانية
المبتدعة» إذًا هذه الألفاظ إذا ذكرت في أبواب الإيمان أو الأسماء أو القدر
أو العبادات وأعمال القلوب يجب أن نلتزم اللفظ الشرعي فإذا ذكرت تلك الألفاظ
فإننا لا نردها ولا نقبلها وإنما نسأل عن المعاني التي أرادها من أطلقها ثم إذا كان
المعنى حقًا قبلنا المعنى وأعلمناه التعبير بالألفاظ التي جاء بها الشرع.

رابعاً: من معالم منهجه: مهارته في سبك الأبواب حيث تمكن تدريجياً بالفصل بين
الإيمان والإيمان بالغيب والأعمال الظاهرة والفرائض والنوافل والمعاصي والكبائر
وأمراض القلوب وبيان طريق الولاية والاستقامة والأخلاق وغير ذلك مما يدخل تحت تلك
الأبواب كما سيظهر ذلك تباعاً من صفحاته.

خامساً: من معالم منهجه ربط باب الصبر بالاستقامة وتزكية النفس بباب العلم
بالله وأسمائه وكماله وقدرته وحكمته سبحانه مع الصفات البالغة بما يبين تكامل تلك
الأبواب ونفي المعارضة بينها.

كيف نجمع بين قدر الله وشرع الله: الله سبحانه وتعالى علم الأشياء وكتبها وشاءها
وخلقها فأفعال العباد الله سبحانه وتعالى يعلمها مسبقاً قبل أن يخلق العباد وكذلك
الله سبحانه وتعالى كتبها والله سبحانه وتعالى شاءها وأرادها وخلقها فكيف نجمع بين
هذا وبين التكليف والتشريع الذي جاء بالأمر والنهي أي كيف يكون العبد مكلفاً والله سبحانه
وتعالى علم وكتب وشاء وخلق كل أفعال العبد.

اعتنى الإمام ابن تيمية رحمه الله ببيان هذه الأبواب وبيان الشامل بينها ونفي أي
معارضة ودور ذلك كل من أي باب منها وأهمل باباً آخر فرد على الصوفية ورد كذلك
على المتكلمين من المعتزلة

سادساً: من معالم منهجه: ربط باب العبودية والاستقامة بفقه خصائص النفس،

ومراعاة تلك الخصائص في باب الاستقامة والعمل الصالح.

الإمام ابن تيمية رحمه الله حينما تحدث عن التقرب إلى الله وتحدث عن الأعمال الصالحة التي

يتقرب بها العبد قربة بينه وبين الله اعتنى جداً ببيان خصائص النفس ولقد ذكر الله

سبحانه وتعالى خصائص النفس فقال تعالى "إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً

وإذا مسه الخير منوعاً" وكذلك "وخلق الإنسان ضعيفاً" "خلق الإنسان من عجل"

"إنه كان ظلوماً جهولاً" هذه خصائص النفس فلا بد من تزكية الإنسان بل هذه

الخصائص التي خلق الله في النفس لابد أن تتصدى لها بالتزكية وأعمال القلوب.

سابعاً: من معالم منهجه رحمه الله: الشمول في بيان شعب الإيمان والعمل الصالح وبيان منازل

الأعمال ومن ذلك قوله في مقدمة جوابه عن معنى قول الله تعالى "يا أيها الناس اعبدوا ربكم"

لما سئل عن العبادة أراد ابن تيمية أن يبين شمول شعب الإيمان والعمل الصالح فقال رحمه الله

"العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة

والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء

بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم

والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه

والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة

لله"

ثم فصّل ابن الإمام رحمه الله في هذه الكلمات المختصرة أراد أن يشير إلى تفاضل شعب الإيمان مع اشتراكها في الموازنة بين الأعمال عند التزاحم وموازنة المسلم على ضوء العمل في الشريعة ومنه موافقة المفتي باختيار ما يناسبه من شعب الإيمان والعمل الصالح.

ثامنًا: من معالم منهجية التفاضل بين العمل الصالح والتقرب إلى الله من خلال الحجة الأولى: شعب الإيمان ومنزلة كل شعبة أثناء فقه المفتي واختلاف الناس في المواهب والقدرات. ثالثًا: سلطة المفتي باختيار الأنسب له من شعب الإيمان

فإن من أهل ممن الإمام في أبواب النوافل والمستحبات التي يحتاج لأن الإنسان يحرص على أن يقدم ما يوصله إلى الله: أن من خيار الصديقين القربات والطاعات ما يناسب مواهبه وقدراته وإمكاناته ولا يتكلف ما لا يحسنه ولا يقوم به على وجهه، وليس ذلك من أسباب الحرمان من العمل الصالح. ومثل هذا يحكم في المفاضلة والعمل الصالح: قال الإمام ابن تيمية رحمه الله مبينًا هذا المعنى:

والناس يتفاضلون في هذا الباب، فمنهم من يكون العلم أيسر عليه من الزهد، ومنهم من يكون الزهد أيسر عليه، ومنهم من تكون العبادة أيسر عليه منهما، فالمشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير كما قال الله تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم. وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر، فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له وهو في حقه أفضل، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقًا إذا كان متعذرًا في حقه أو متعسرًا يفوته ما هو أفضل له وأنفع، كمن يقرأ القرآن فيتدبره وينتفع بتلاوته والصلاة تثقل عليه - صلاة النافلة - ولا ينتفع بها بل أو ينتفع بالذكر أعظم مما ينتفع

بالقراءة، وقال غيره: كان يقال إنه أنفع والله أعلم، أفضل ما صحبه من يتلقى عن الراوي

من علي وجهه مثل على وجهه ما هو أنفع له" هذا التقرير يعني من الإمام

ابن تيمية رحمه الله يرى أن فضيلة العبد في شعب الإيمان ومنزلته في كل شعبة تتفاوت بحسب نفسه

وطبيعته، فإن من خيار من الأعمال الأكمل بحسب ما يناسب من العلم والقدرة والرغبة.

ومن ذلك قول الإمام مالك رحمه الله: "كان فضلاء العباد الذين بلغوا من شعب الإيمان وسعي

شعب الإيمان ومن يعملوا في ذلك أن الله سبحانه وتعالى قسم الأعمال بين الناس كما ب ذلك

على الإمام مالك رحمه الله أرسل أحدهم إلى الإمام مالك وهو عبد الله العمري العابد

يحض الإمام مالك على العزلة والانفراد، فأجاب الإمام مالك رحمه الله: "... إن الله

قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له

في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، ونشر العلم من أفضل أعمال البر،

وقد رضيت بما فتح لي فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر" فهذا الإمام رحمه الله

بيّنه وتنوع شعب الإيمان، وبيّن أن الله سبحانه وتعالى قسم الأعمال كما قسم

الأرزاق، وبيّن أن بعض الناس يفتح له في بعض شعب الإيمان ما لا يفتح له في الشعب الأخرى،

ثم بيّن له منزلة العلم الشرعي ونشر العلم بين الناس وتعليم الناس، ثم بيّن له أنه

قد رضي بما فتح له، ثم بعد ذلك لم ينتقص ذلك العابد حقه وقال: أرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

ومن تطبيقات هذه الفكرة أن ابن مسعود رضي الله عنه كان لا يكثر من صوم النافلة، وكان

يحافظ على ورده من القرآن، ويقول: "إن الصوم يشغلني عن وردي من القرآن"

ليس معنى ذلك أن العبد لا يضرب في كل الأبواب بسهم، لكن أن ينتبه لتحقيق الطريق وحظه

التي تجعله في مرتبة أعلى ما يوصله إلى الله.

من فقه تلك المعاني حصول فوائد كثيرة

أولاً: العلم بشعب الإيمان وشمولها ومعرفة رتبة كل منها

ثانيا: محبة ما أحبه الإسلام للنفس

ثالثا: في باب الدعوة إلى الله اختيار الأنسب للمدعوين، ولا يلزم الناس الذين تدعوهم بالمبادئ من الحُرمات إلى المواضيع التي [illegible] ثم لم يعرفوها أولا [illegible]

بما على وجوبها ولكن اختر لهم من الأعمال ما يناسب مواهبهم.

ومن جملة الفوائد التي تحصل من فقه تلك المعاني أن نعرف ما عندنا من خير وما ينقصنا

وأن نعرف الفضل لأهله ممن يقومون بأعمال وشعب للإيمان [illegible] لا نستطيع عليها [illegible] الإيمان

بما هو من خير [illegible] من [illegible] الناس بكونهم مقصرين في تلك الشعبة ونتهمهم بالخيبة

مع كونهم يقومون بأعمال جليلة في الدعوة وفي إصلاح [illegible]

وكذلك بعض طلبة العلم ينعون على الناس [illegible] ويشنعون عليهم بما يعرفون

كذلك بعض المتفقهة الذين يقتصرون على أعمال [illegible] على الناس بذلك ويقولون

لولا أموالنا ما قامت [illegible] وكذلك العباد ينظرون إلى من يشتغل بالعلم أو أي باب

من أبواب الخير أنهم أضاعوا [illegible] (…) وهكذا يشتغل كل أحد

بما عنده من خير، والمهم أن الخير العام لا يحصل بشعبة واحدة من شعب [illegible]

[illegible] أن نعلم أن [illegible] شعب الإيمان وأن نعلم [illegible]

وأن [illegible] وأن نعرف ما عندنا من نقص وأن نعرف الفضل لأهله وأن لا

نعيب عليهم [illegible] وأن [illegible] وأن [illegible] على [illegible]

تاسعاً: من معالم منهج الإمام ابن تيمية رحمه الله: بيان أن أولياء الله يوجدون في كل
صنف من صنوف الأمة وأن من ميزات الولاية عدم التقوقع والانزواء، فأولياء الله يوجدون
في مجال نافع لا يتقيدون بالعلم والجهاد والقرآن بل أيضاً يوجدون في الصناع والزراع
وربات البيوت والأطباء والمهندسين والتجار وكذلك يوجدون في الفقراء والأغنياء والمجاهدين
فقال ابن تيمية رحمه الله: " وليس لأولياء الله شيء يتميزون به على الناس في الظاهر من الأمور
المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً ولا بحلق شعر أو تقصيره أو
ظفره إذا كان مباحاً كما قيل: كم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون
في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور
فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ويوجدون في
التجار والصناع والزراع وقد ذكر الله أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: "
إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك
والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم أن
سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في
سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه "

عاشراً: من معالم منهجه رحمه الله: الاعتناء ببيان مجال الأخلاق في كل باب
ابن تيمية رحمه الله وإن كان يبين الحد الأدنى الشرعي في كل عمل ففي كل باب
لكنه كذلك اعتنى في ~~[illegible]~~ بيان سمو أن الناس منازل في الكمال بذلك العمل
فيه والمنافسة في كثرة مسائل الحديث عنها كما في حديثه عن الحق الشاكر

من التقصير العظيم) وكذا في حديثه عن طلب الدعاء أو ما إذا أراد أن يطلب من أحد أن
يدعو له فلا يكون له مقصد من دعائه إلا أن ينتفع هو والآخر بما من الله عليهم جميعا
لقول النبي وللداعي مثل. وذكر ذلك في حديث الحشم الذي نسبه بعض الناس
في العبودية، وحين اشترطوا أن يكون للداعي مثل ما له ولا يزال ذلك كلهم لأنه
ذلك في حديثه في التوسل في القرآن قال (المحرمات) ومثل في ذلك يجمع أمورا
محرمات.

إحدى عشر من معالم منهج الإمام ابن تيمية رحمه الله: بيان القواعد الكلية التي دل عليها الوحي في باب الاستغاثة

فتبين أن باب الاستغاثة مبني على قواعد قد ذكرناها الأصل في العبادة والإباحة
كما سيأتي معنا إن شاء الله في كتاب العبودية

اثنا عشر من معالم منهج الإمام: النفس الطويل في التحرير والتصوير والاستدلال والعرض والمناقشة والنقد.

إذا دخل الإمام ابن تيمية رحمه الله في مسألة من مسائل الشريعة فلديه نفس طويل جدا
في حسن تصوير المسألة وجمع المقالات وتحرير المقالات والتثبت من صحة المقالات
وذكر حججها وأدلتها والأصول التي تبنى عليها ثم نقد تلك المقالات ثم تقرير ما يراه
صحيحا بالحجج والاستدلال والتفريع من الصور التي تندرج تحته كما في كتاب القواعد
ونقض الاعتراضات على قوله فالجمع من الأدلة من الأدلة ما تقرر وجمعها فإنهم
ومنها ما يبدو متعارضا أو مشكلا فيجمع الأدلة ويحل الإشكال ويجيب عن شبهة

وأمثلة ذلك كثيرة كما سيأتي في مسألة زيارة القبور وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة أو مسألة سؤال الخلق وأن الأصل فيها المنع كما سيأتي.

المعلم الثالث عشر: غزارة الأدلة من الوحي.

الإمام ابن تيمية رحمه الله في تقريره أي مسألة من مسائل الشريعة جاء بنصوص يحشد الأدلة المتنوعة حتى كل مسألة يحشد نصوصها المتعلقة إلى جهة من النظر أو جهة من الشريعة.

المعلم الرابع عشر: تنوع الأدلة من القرآن والحديث والآثار وكذلك من كلام الصحابة والتابعين ومن كلام أئمة المذاهب ومن كلام أئمة العباد والصوفية وكذلك من العقل والمشاهد.

وابن تيمية رحمه الله يحاول أن يحشد في كل مسألة أو كل شيء يصل إليه كل ما يمكن أن يستدل به من ذكر القرآن والحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم ومن كلام الصحابة وآثارهم ومن أقوال التابعين وكذلك من أقوالهم وكلام أئمة المذاهب الأربعة وكلام أئمة العباد والصوفية وكذلك الأدلة العقلية والمشاهد.

المعلم الخامس عشر: منهج الإمام ابن تيمية رحمه الله في التطبيق.

وهذا أيضا من أهم ما نعرفه من الإمام ابن تيمية رحمه الله: أن سيرة الإمام تتعلق بهذه الأبواب؛ فقد كان الإمام رحمه الله حريصا على تطبيق معاني الأمور والتشريع من خلال الأبواب وكان حريصا على نفع الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح.

قال الإمام الذهبي رحمه الله وهو يتكلم عن الإمام ابن تيمية قال: ما رأيته إلا [illegible] كتاب.

وقال «لا أعلم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك مع أن تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه أو يراجعه من الكتب لكن هو الإمام المجتهد المذاهب مطلق هذه الأمة ومطلق» وقال الذهبي أيضاً «وما رأيت في العالم أكرم منه ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم لا يذكره ولا أظنه يدور في ذهنه وفيه مروءة وقيام مع أصحابه وسعي في مصالحهم»

كان الإمام ابن تيمية رحمه الله يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه ويزيل المنكر بيده ولسانه وكان يريق الخمور ويكسر الأصنام عند استطاعته وكان كذلك يحض الولاة ويحضهم على الجهاد وإقامة الشرع وكف الأذى عن المسلمين وكان يشير عليهم بالأولى في تولي المناصب وكان يقوم بمهمة التدريس والخطابة وكان في عهده يخرج للمعارك بنفسه وكان له دور كبير في تقوية عزائم الأمراء والمجاهدين كذلك اتخذ العلم والعمل صاحبين وكان معظماً لحرمات الله وكان كثير الابتهال والعبادة والاستغاثة والاستعانة وكان قوي التوكل على الله وكان عندما تشكل عليه أي مسألة معضلة تقول له التفسير من كلامه كان يقول «ربما أقرأ في الآية مئة تفسير ثم أقول يا معلم إبراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني» فكان مفتقراً إلى الله سبحانه وتعالى وابتلي رحمه الله مرات كثيرة وصبر وجاهد في سبيل الله وسجن كثيراً في سبيل الحق الذي ينشره وكان مع ذلك في محنه وابتلاءه

فظهر رضاه بقضاء الله تبارك وتعالى وفرحه وسروره! وكان يقول في ذلك
«إنا فتشنا الصدر وما عنده فلم يجدوا فيه الخارج (إنما الخارج الحبس) فليقرأوا»
وقد أجاب من ذكره بالشكوى فقال «المحبوس من حبس قلبه عن ربه والمأسور
من أسره هواه» وكان يقول «والله إنه ليمر على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قسم
على أهل الشام ومصر لفضل عنهم» وكان يقول «ما يصنع بي أعدائي أنا جنتي
وبستاني في صدري أين رحت فهي معي لا تفارقني أنا حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي
من بلدي سياحة» وقال عنه تلميذه ابن القيم رحمه الله «وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب
عيشا منه مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ومع ما كان
فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا
وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف
وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب
ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة»

وقال ابن القيم أيضا عن الإمام «حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس
يذكر الله تبارك وتعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إلي وقال هذه غدوتي
ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي» ومن هذا الموقف يتبين أن كل من قصد طريق العلم
وتعليم الناس وكثرة الناس يستفيد من زاد التقوى والاستقامة والمسارعة في الخيرات
طريقه إلى الله ليس سهلا بل العلم متعلق بالعمل الصالح والعمل الصالح

يكر شهد بالعلم .

مروءة الإمام ابن تيمية رحمه الله :

كان الإمام ابن تيمية رحمه الله شريفاً حسن في تعامله مع الناس وكان يحب الخير للمسلمين قال ابن القيم رحمه الله رأيت ابن تيمية يوماً جئته يوم مات ألد أعدائه فأتيته مبشراً له بموته، فقال ابن تيمية رحمه الله: إنا لله وإنا إليه راجعون وقام من مكانه فذهب إلى أهل بيت ذلك الرجل وإلى قرابته فقال لهم أنا لكم مكانه ولا يكون لكم حاجة إلا وأتوسط إلى ... ابن تيمية رحمه الله فيشفع عائلة ذلك الرجل لا يستطيعون!!

هذا هو النبل والشرف والأخلاق والدين.

السادس عشر من معالم منهج الإمام: معرفة المقالات في هذه الأبواب ونشأتها وأصولها ومحدثها ووزنها بالوحي والتفاصيل التاريخية لهذه المقالات ومعرفة مراحل تطورها.

الإمام ابن تيمية رحمه الله لا يكتفي فقط بمعرفة الحكم الذي جاءت به الشريعة في تلك الأبواب وإنما يعتني كذلك بمعرفة المقالات التي نشأت ونسبت إلى الشريعة فيعرف أصولها ويعرف نشأتها ومراحل تطورها حتى يرد على أصحابها.

المعلم السابع عشر: نقد المقالات والأقوال في الأبواب ووزنها بالوحي ومعرفة أصولها ومعرفة سبب الغلط فيها ثم ذكر البديل لها من الوحي.

في كل هذه المقالات التي نسبت إلى الشريعة يزن تلك المقالات بالوحي فهناك مقالات كثيرة جداً في أبواب العقيدة والتزكية ذكرها العلماء

أو كانوا يلاحظون عبارات محركة : كانوا يشيرون إلى الله

بالصمت، بجوع أو بحزن أو بالسهر أو بالصعق عند سماع القرآن أو كانوا يغلون

في بعض الأبواب الشرعية كما حصل بهم كقول أبي القاسم الله رأى الكرخي رحمه الله

والمشي الإمام ابن تيمية بجمع أصول هذه القواعد ونقدها بالعلم وبيانه

السبيل الصحيح الذي دل عليه الوحي في تلك الأبواب

المعلم الثامن عشر من منهج الإمام: منهج منضبط جداً يدل على حكمة ورحمة بالمكلف

ومن ذلك أن الإمام ابن تيمية كان يقيم المقالات التي تأتي له بالعباد والزهاد

والصوفية من حيث المعنى والمقصد واللفظ.

فهو لا يتعامل مع مجرد الألفاظ فإنه يعنى بثلاثة أمور: بالمعنى الذي أراده

المتكلم وكذلك بقصده ومنه من ذلك الذي قاله، واللفظ الذي عبر به عن المعنى

والمقصد؟ لذلك الإمام رحمه الله كان كثيراً ما يصحح المقالات التي يسمعها.

وله قول عظيم جداً قال: ومن أعظم التقصير نسبة الخطأ إلى متكلم مع إمكان

تصحيح كلامه " يريد أن يقول لا تستعجل بأن ترد كلام أو تضلله إلا بعد أن تعرف

حقيقة مراد المتكلم والمعنى الذي أراده ولا تكن فقط مع الألفاظ دون النظر إلى المعنى

والمقصد.

المعلم التاسع عشر: منهج مبني على ما سبق: الإمام رحمه الله ما يجري من العباد

والزهاد ومنهم كلام في تلك الأبواب وأنه كان الإمام يخالفهم في كثير من ذلك

فيفضل الإمام رحمه الله حسن معاملتهم وتيسيرهم ما لا يستدلون على أتباعهم زعماء مخالفي

صفات الإمام .

الإمام ابن تيمية رحمه الله لم يتعامل مع المخالفين بما يتعامل به كثير من أهل العلم

أنه إذا أعجبه شيء من شخص قبل كلامه ما جاء به وإذا لم يعجبه نسي ما تركه

نقصه حقه وأنكر فضله . فالإمام ابن تيمية رحمه الله لما استقرأ أحوال العباد وكلامهم

وجد أن بعضهم يجهلون كثيرا منه أي أن كثيرة من صحيحة فأثنى عليهم بذلك واستشهد بذلك

ويستدل به على أتباعهم الذين خالفوهم .

المعلم المقتدي وهو عظيم جدا من منهجه ويدل على فقهه ورحمته وحكمته في الإصلاح

محاولة تقليل الشر لطائفة والأخذ بيد المخالفين للقرب من السنة

له محاولات جليلة في إرشاد من ضل من طالبة الأبواب وما مناقشته في نقل من الحجج

وفي ذلك شبيه بما ذكر الله عن الخضر رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى قال عنه

(آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) علم بالحق ورحمة بالخلق ومن رحمة بالخلق

محاولة هدايتهم وإرشادهم بالحق الذي يجهلون .

والله سبحانه وتعالى يحتج على كل طائفة بالحق الذي يجهلونه فأراد الإمام ابن تيمية

رحمه الله أن يحتج عليهم بما يجهلون وأراد كذلك أنه يخفف من الكثيرة

التي يدعي صوفية أو غيرها حالة البدع ودرجات وكان الإمام ابن تيمية في ذلك

شديد الحذر في الناس وفي تقليل الشر فيهم ومحاولة ردهم إلى السنة قدر الإمكان

قال ابن تيمية ((فمن تعبّد ببدعة بالجملة ما ليس مستحبًا إما مكروهة أو محرمة مفضولة وهو معذور أو مقصر على أنه لا يمكنه سلوك الطريقة المشروعة الكاملة إلا بنوع من البدعة لعدم القائم بالطريقة الشرعية علمًا وعملًا، فإذا لم يحصل النور الصافي بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصافٍ وإلا بقي الإنسان في الظلمة فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية إذا خرج غيره عن ذلك لما رآه في طرق الناس من الظلمة))

- إذا أتيت لتعظ الناس وتدعوهم إذا رأيت عليهم شيئًا فيه نوع بدعة فحاول أن تقلل فيهم الشر والبدعة وأن تكثر فيهم الخير، وإذا أردت أن تنقله من النور الذي فيه ظلمة فيجب أن تنقله إلى نور صافٍ، أما أن تخرجه من نور فيه ظلمة إلى ظلمات لا نور فيها فهذا ظلم وجهل. فهذا أخرجته من خير فيه شر إلى شر لا خير فيه.

المعلم الواحد والعشرون: إعذار المجتهدين المخطئين من سلف الأمة.

- الذين تكلموا في أبواب تزكية النفس من الصوفية والأسلاف وشهد لهم الأئمة بالخير نظر إليهم الإمام ابن تيمية على أنهم كالفقهاء وكغيرهم فيهم المصيب منهم صواب لهم ويثنى عليهم فيه، ومعذورون في اجتهادهم المخطئ ولا يقبل منهم، قال ابن تيمية رحمه الله: ((والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاصٍ لربه وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة)).

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن بينهما أمورًا

أن كل من طلب كون مقصده التقرب إلى الله واجتهد فهو مجتهد أجره أجر من فعله

الصالح الصحيح مقبول ويثاب على كل شيء كلف به أما خطؤه فمغفور عليه ولا يشنع عليه ذلك

بيان أنه لا ينتسب إلى أي طائفة إلا ما ثبت عنهم فيه كثيرًا من أهل البدع انتسب إلى

جمع الفرق، كما انتسب كثير من المبتدعة إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله والصنف هذه

البدع من والإمام أبو حنيفة رحمه الله لم يثبت عنه مخالفة في أبواب الإيمان إلا قوله رحمه الله

في باب دخول العمل في مسمى الإيمان. وأيضًا نسب إلى الأئمة الأربعة كثير من البدع بسبب

أن بعض المبتدعة انتسب إليهم في الفقه فظن أنه ينتسب إليهم كذلك في الإيمان والاعتقاد

وتزكية النفس وغير ذلك من الأبواب.

فائدة: تراث الإمام ابن تيمية رحمه الله في تزكية النفس وأعمال القلوب والاستقامة

أعمق وأدق وأقرب إلى النصوص وأكثر تحقيقًا وأحسن ألفاظًا من تراث ابن القيم

رحمه الله مع عظيم نفع الإمام ابن القيم وحسن كلامه وكثرة الكلام ونفع الكلام لكنه لا يكاد

يضاهي تراث الإمام ابن تيمية رحمه الله ولا يقاربه.

العبودية للإمام ابن تيمية.

(1-04) (كتاب العبودية)

مقدمة

موضوع الكتاب: الكتاب جاء جواباً على جواب سائل سأل الإمام ابن تيمية رحمه الله

عن قوله عز وجل ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم)) فما هي العبادة؟ وما

فروعها؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا؟ وما حقيقة العبودية؟ وهل هي أعلى

المقامات في الدنيا والآخرة أم فوقها شيء من المقامات؟ وليبسط لنا القول في ذلك.

وموضوع الكتاب هو جواب على هذا السؤال ولكن علينا أن نقول إن الكتاب

فيه موضوعين رئيسيين يتفرع منهما مسائل: الموضوع الأول الرئيسي لهذا الكتاب:

العبادة (معناها) وشروطها التمسك لا بيانه شيء إلا بالعبادة وأعمال القلوب ومراتب الناس

في الاستقامة عليها مع بيان أثر الضلالات المخالفة لها ومسالكهم وبيان منتقد

للشارع والأحوال التي ثبتت عنده وحججها ثم نقدها بميزان الوحي وبيان ما صح من

كلام أشهر المتصوفين عندهم. الموضوع الثاني: الجمع بين الشرع والقدر.

الجمع بين قدر الله: علمه وكتابته ومشيئته وخلقه لأفعال العباد وبين الأمر والنهي

أي كيف نجمع بين قدر الله السابق وبين تكليف الله لنا بالعمل الصالح والنهي عما لا يرضي الله

فبين الإمام رحمه الله أن باب العبادة لا يستقيم إلا بالجمع بينهما واستدل لذلك وذكر

ثم بين الضلالات المخالفة لذلك على نحو المذكور في الموضوع الأول فهذان

موضوعان رئيسيان كبيران تكلم فيهما الإمام في كثير من كتبه واعتنى في بيانهما

وبيان ما يخالفهما كثيراً وفي هذا الكتاب عرض جامع لهذه المسائل.

الإمام رحمه الله عرفنا العبادة وبين أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من
الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فابن تيمية رحمه الله بين سعة وتنوع شعب
الإيمان من حيث أن الدين كله يدخل في العبادة ، ثم ذكر أمثلة الأعمال الظاهرة
وهي بلا شك تحتاج إلى إيمان باطن وتحتاج إلى أعمال باطنة فذكر أمثلة
كالصيام والصلاة والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى غير ذلك ثم نبه
على تكميل الإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين
والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة . وهنا ابن تيمية رحمه
الله ذكر هذا المفصل من الإحسان إلى الجار واليتيم وابن السبيل [illegible]
أعظم الأعمال الصالحة لينبه على هذا المعنى كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر
شعب الإيمان قال أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى والحياء شعبة
من الإيمان فقد يحتاج الإنسان إلى التنبيه إلى بعض الأمور وليس كل ما يحتاج إليه يبينه
وليس على أنه أفضل ما ذكره ولكن لحاجة الناس إلى بيان ذلك
أهمية ذكر الإمام أعمال القلوب بعد ذكر الأعمال الباطنة : وذكر حب الله وخشيته وذكر
الإنابة إليه والإخلاص والصبر والشكر والرضا وذكر الرجاء والخوف من عذابه إلى غير ذلك
إذ الإمام ابن تيمية رحمه الله بين معنى العبادة ثم أشار للعبادة في شعب الإيمان
وبين تنوع الشعب وبين أن الدين كله يدخل في معنى العبادة .
آراء الإمام ابن تيمية في معنى العبادة : أدرك فيه العبادة معنى أنه
العبادة هي الغاية المحبوبة لله المرضية له التي خلق الخلق لأجلها .

الأمر الثاني: أن الله أرسل به جميع الرسل فجميع الرسل جاءوا بهذا المعنى

(اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فإن جميع الرسل بأمر ألا يعبد إلا الله وألا يعبد إلا

بما شرع كما قال نوح (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون)

أيضاً بين الإمام رحمه الله أن العبادة تلزم العبد إلى الموت أي أنه ليس هناك

وقت تسقط عن العبد فيه العبادة والإمام في ذلك يرد على كثير من غلاة

الصوفية الذين زعموا أن العبد إذا وصل إلى مرحلة معينة اليقين تسقط عنه

فيها التكاليف فبين الإمام أن سيد ولد آدم وسيد الصالحين من الخلق وهو النبي محمد

صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يبقى عبداً لله إلى أن يأتيه اليقين واليقين كما بينه

وأجمع عليه المفسرون يعني الموت. فلا تسقط عن العبد التكاليف والعبادة إلى الموت

أيضاً بين في العبادة أن ذلك الوصف الذي وصف الله به خاصة خلقه من الأنبياء

والملائكة الكرام وبين الإمام ابن تيمية رحمه الله أن الله ذم المستكبرين المستنكفين

عن عبادته كذلك بين الإمام رحمه الله أن الله نعت صفوة خلقه بصفة العبودية

وبين كذلك الإمام أن الله سبحانه وتعالى غني كل الغنى عن عبادة خلقه.

قال الشيخ وكما قال الشيطان (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم

أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين)

فائدة: نلاحظ أن الشيخ هنا ذكر القول الذي قاله الشيطان وهذا المنهج

فالأصل عند نقل الآيات مختصرة والتي تساعد لشرح هذه المسائل أو تركيز

الشيء في الدعوة أو العلم أو أي باب من أبواب العلم أن ينسب القول

إلى قائله فالقول مثلاً هنا لقول نملة (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم)

قال الجن (وأنه تعالى جد ربنا) قال لوط عليه السلام (هؤلاء بناتي)

قالت امرأة العزيز (راودته عن نفسه) (ليسجنن) قال فرعون (أليس لي ملك مصر)

قالت ملكة سبأ (ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)

فإن التدبر لهذه الآيات وما يقال من الكثير من الدروس من النحو والبلاغة كم لا يجوز أن نسند

القول إلى الله عز وجل لا يستقيم أبدًا بالله ولكن الله سبحانه وتعالى حكى عن الذين

قالوا أصالة وإنما ذكر الله في كتابه مسندة إلى أصحابها كأنه يقول مثلا

قال الله تعالى (هؤلاء بناتي) وقال الله تعالى ([illegible])

~~وقال الله تعالى (يا هامان ابن لي صرحًا) وقال الله (أنا أحيي وأميت) [illegible]~~

~~وقال الله (لن نبرح عليه عاكفين) إلى غير ذلك مما لا يصح أبدًا أن ينسب إلى الله تعالى~~

والله سبحانه وتعالى إنما ذكر الأقوال منسوبة إلى أصحابها فإذا ذكرنا قولًا محددًا

فلا ننسب هذا القول إلى الله تبارك وتعالى ولكن يجب أن نقول قال

الله على لسان فلان أو حكاية عن فلان بل إسناد القول إلى قائله.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق الظلم إنما هو قول العبد الصالح (إن الشرك

لظلم عظيم) أسند القول إلى قائله كذلك قالت عائشة رضي الله عنها

في قصة الإفك قالت ليس لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف (والله المستعان

على ما تصفون) فالله سبحانه وتعالى لم يتكلم على لسان أحد لا يتكلم بالأصوات

أحد وإنما الله سبحانه وتعالى ذكر تلك الأقوال منسوبة والقرآن

كله كلام الله تكلم الله به وقصه علينا وقص الله علينا بعض الأقوال التي

~~قالها ما الله سبحانه وتعالى قال أو قال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني~~

أخاف أن يبدل دينكم) إلى غير ذلك فلا نقول أبدًا إن الإمام ابن ... قال

قال الشيطان ولكن نقول قال الله على لسان الشيطان أو نقول قال الله (ربه كان كفورا)

أيضاً مما بيّنه الإمام رحمه الله أن الله سبحانه وتعالى ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أعظم المقامات مقام العبودية وهذا ما شرفه فهذه الصفة كما في الإسراء وفي الإيحاء وفي الدعوة ثم ضمّن الإمام كلامه معاني فالدين كله داخل في العبادة وذكر حديث جبريل

ومثال هذا أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بيّن معاني تلك الألفاظ وهي الإيمان، الإسلام، الإحسان، التقوى، الخشية، الرهبان فمن أي معنى شرعي ويفسر حقيقة الإيمان كذا أو حقيقة الإسلام كذا، وإنما يذكر ذلك مباشرة

فائدة: من منهج الإمام ابن تيمية رحمه الله كثرة الاستدلال بالوحي، ويتكلم الإمام رحمه الله بالوحي كثيراً ويحاول الإمام أن يستنطق النصوص بالمعاني التي تصل إليها.

تكلم الإمام عن الدين فقال الدين يتضمن معنى الخضوع والذل فيقال دنته فدان ويقال يدين الله ويدين لله أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له. بيّن الإمام رحمه الله أن باب العبادة يحتاج إلى العلم والعمل، يحتاج إلى معرفة وقصد وطلب فهو بذلك يرد على من حصر العبادة في مجرد المعرفة وهم أهل باب الاستقامة والعمل، كذلك الإمام أراد أن يبين أصل معنى العبادة فبيّن أنها في الأصل معنى الذل لكن العبادة المأمور بها تتضمن معاني أخرى أكثر من مجرد الذل مثل الحب لله تبارك وتعالى، والإمام يرى كثيراً من المعتزلة الذين يتكلمون أن الكلمة في لسان العرب تكون لها أصل ومعنى ثم يأتي الشرع ويضيف لها معاني أخر. فبيّن الإمام رحمه الله أن العبادة التي أمر بها الشرع ليس المراد فيها مجرد الذل وإنما لابد كذلك مع الذل الحب، فالعبادة تتضمن غاية الذل لله مع غاية المحبة له

ثم ذكر الامام ألفاظاً ولكنه لا يحتج بها الامام فيستعملها الشرع من الحب ولكنه لا يصح

أن يستعمل صاحب العبد لله ويكمله وإنما يستعمل في حب العبد لله لفظ الحب أو لفظ

شدة الحب كما جاء في الشرع (والذين آمنوا أشد حبا لله) .

ذكر الامام درجات أو مراتب الحب ذكر العلاقة، الصبابة، الغرام، الحب، ثم العشق

ثم التتيم ولم يذكرها الامام ليحتج بها في الشرع من الألفاظ الشرعية ثم قال تستعمل

في تلك الأبواب أو كلمات تستعمل بين رجل وحبيبته أو زوجته أو صديقه ولكن لا يصح

أن تعبر بها عن الحب بين العبد وربه أو حب الله تبارك وتعالى لعبده

فذكر الامام أن الحب لابد فيه من الخضوع والمحبة فقال (ومن خضع له إنسان مع بغضه

له لا يكون عابداً له ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له)

ثم ذكر الامام أول قاعدة : قال الامام ولا يجب أن يكون ~~لله~~ أحب إلى العبد من كل شيء

وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله .

القاعدة : هي معنى كلي ينطبق عليه أفراد وجزئيات .

الفائدة : هي معنى خاص بجزئية معينة .

ثم بين الامام أن ما أحب لغير الله محبته فاسدة واستدل لذلك ثم دخل

الامام في أحد أعظم مقاصد الشرع ويدور حوله كل الكتب وهو التفريق بين حق الله الذي

لا يشركه فيه غيره وبين حق الله الذي جعل الله فيه لبعض عباده نصيباً منه .

فالله سبحانه وتعالى له حق العبادة والخوف والتوكل والرجاء فلا يكون حقاً إلا

لله وذلك من حق الله علينا. الطاعة والاتباع يكون لله سبحانه وتعالى أمرنا أن

نطيع النبي صلى الله عليه وسلم وأن نطيع ولاة أمرنا كذلك أمرنا أن نطيع آباءنا وأمهاتنا

ختم الإمام رحمه الله في هذه الفقرة وهو التفريق بين حق الله الذي لا يشركه
فيه غيره وبين حق الله الذي جعل الله فيه لبعض عباده نصيباً .

فقال رحمه الله في بيان هذه الفقرة (فالمحبة يكون لله ولرسوله) فمن حب الله
وحب الرسول وحب المؤمنين وحب إخواننا كالطاعة له ولأولي الأمر كما مر الصالحين وما يأتي بعد
وما يدخل كذلك من التوكل والخوف والرجاء وغير ذلك فلا يكون إلا لله وحده)

ثم دخل الإمام فيه حاسبه هذا الأصل بين ما يشكل على هذا الأصل وهي آية
قد فهمها بعض المفسرين وبعض الصوفية فأخطأوا فيها وهي قول الله تعالى (يا أيها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) والتفسير الصحيح يا أيها النبي حسبك الله والله
حسب من اتبعك من المؤمنين أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين الله وهذا
تفسير الأئمة من السلف كالشعبي وابن زيد = أي الله يكفيك ويكفي من اتبعك من المؤمنين -

الإمام رحمه الله وضح هذا المعنى فبين ضعف [illegible] من حيث الشرع ومن حيث
العربية كما بين ما الصحيح من ذلك أن الصحابة تقدم المعنى والأدلة الصحيحة
ثم فرق بين حق الله الذي لا يشركه فيه غيره وبين حق الله الذي جعل الله لبعض
عباده فيه شيئاً ، ثم دخل الإمام لبيان معنى العبودية وأقسام العبودية ،
بين الإمام رحمه الله أن العبد يراد به وهو المعبد المذلل : العبودية الذي عبده الله وذلله
أي أن الله خلقه وأنه سبحانه وتعالى دبر أمره وأن ذلك يدخل فيه كل الناس وهم كلهم لله
العبد العابد الذي استقام على أمر الله تبارك وتعالى وكل بإرادته وهذا أيضاً لما أطلق عليه كثيراً [illegible]
بالعبودية الخاصة ، العبودية الشرعية .

باعتبار أن ما جاء في القرآن من لفظ العبودية وما يشتق منها كلفظ عبد أو عابد أو عباد
يجد أنها جاءت عامة وخاصة: فالعبودية العامة أو الاضطرارية تشمل الخلق كلهم
لا يخرج عنها كافر ولا عاصي فيها المخلوق على مخلوق وليس فيها حمد للثواب ولا العقاب
والعبودية العامة أهل الأرض والسماء - كل أهل الأرض والسماء عباد لله بهذا الاعتبار يدخل فيها
جميع الخلق كلهم كفارهم ومسلمهم برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم فالله سبحانه وتعالى ربهم
ومالكهم وخالقهم ومدبرهم ومدبر أمرهم وإليه مرجعهم وعليه حسابهم) هذا العموم يعني
العام كما قال الله تبارك وتعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم
وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) فالله سبحانه
وتعالى يتعرف لجميع خلقه الذين أسرفوا على أنفسهم يدخل في ذلك المؤمن والكافر والعاصي والمطيع
كل هؤلاء يدخلون في معنى العباد في هذه الآية، وهذا أيضا الاستسلام العام أو الخضوع العام
من المسلم والعاصي المذكور في الطاعة ومعناه الخضوع لله والاستسلام لله تبارك وتعالى
طوعا أو كرها كما قال الله سبحانه وتعالى (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات
والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون) لذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله يعلق على كلام عكرمة
ومقاتل وذكر كلام الكلابي طوعا وكرها لأن المخلوقات جميعا متعبدة له التعبد العام
سواء أقر المقر بذلك أو أنكره وهم مدينون له مدبرون فهم مسلمون له طوعا وكرها
ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره وقضاه ولا حول ولا قوة إلا به وهو
رب العالمين ومليكهم يصرفهم كيف شاء وهو خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهم وكل ما سواه فهو
مربوب مصنوع مفطور فقير محتاج معبد مقهور وهو سبحانه الواحد القهار الخالق البارئ المصور

وكذلك أيضاً يسجد جماعة الحق كما في قوله (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً

وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال) و يسجد جميعاً كذلك لله ربنا الحق بالخضوع والذل

وأن الله هو مدبر أمره ، وكذلك قال الله تبارك وتعالى (وقالوا اتخذ الله ولداً

سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون)

أما العبودية في جملة والاستسلام الخاص والقنوت الخاص الذي يأتي طوعاً من العبد

فهو عبادة الاختيار: استسلام الاختيار، سجود الاختيار، قنوت الاختيار، وهو أعظم غاية

خلق الخلق وبعث الرسل قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

(قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن

عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه

قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين

لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا

الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون

أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) فالله سبحانه وتعالى

يريد منا العبودية الشرعية عبادة الاختيار

فائدة: نلاحظ أن كل المشركين وكل الكفار الذين جاءتهم الرسل كانوا يعرفون

الحق ولكنهم تركوا عبادته إما تكبراً أو إرادة للعلو أو اتباعاً لأهواء النفس

أو كما قال الله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وكما قال تعالى

(فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) والمشركون لما أمرهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالوا (أنسجد لما تأمرنا) وكذلك أيضا لما جاءهم القرآن

فقالوا (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

أحمد حسين عبد الرازق ①

كتاب العبودية لابن تيمية

المحاضرة الرابعة — (تحاسد الأئمة بعضهم .)

الإمام ابن تيمية رحمه الله يتكلم عن لفظ العبد أو العباد الذي جاء في القرآن فيبين أن
هذا اللفظ دل على نوعين من العباد: العبودية العامة التي لا يخرج عنها مخلوق
وهي التي لا يتميز فيها المؤمن عن الكافر فكل الناس مخلوقين لله أي كلهم عباد لله
كلهم يتصرف الله سبحانه وتعالى في أمرهم ويدبر أمرهم، فالله سبحانه وتعالى هو
خالقهم وهو رازقهم وهو مميتهم وهو محييهم لذلك هذا هو معنى الإسلام العام.
كما قال (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها) فهذا المعنى لا يخرج منه
مخلوق حتى الكفار الذين جحدوا العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يعبدون
الأصنام أو من يعبدون لذلك كانوا يعرفون أن الله خلقهم حتى وإن جحدوا ذلك بألسنتهم
والله سبحانه وتعالى ذكر ذلك كما في قوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)
وكما قال عن اليهود (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون) ولذلك بين للنبي صلى الله عليه وسلم أن كفر المشركين
وجحودهم ليس لكونهم يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ولكن استكبار.

إذا الكفار الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن من قصص الأنبياء وغيرها كانوا
يعلمون الحق ولكن تركوا اتباعه إما للجاه وإما لحب الدنيا وإما كبرا كما قال
الله عن قوم نوح أنهم قالوا (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) أي كيف ندخل
في دين سويا بيننا وبين هؤلاء الأراذل - الضعفاء من القوم - وكذلك

لما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يسجدوا لله قالوا (أنسجد لما تأمرنا) ولما جاءهم
القرآن قالوا (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) والله سبحانه
وتعالى قال عن كفرهم (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) وفي قوله هم على
ما اعتقدته من نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه أبى أن يلحق بدين شريعته مما هو
على ملته وجماعته.

هذا النوع من العبودية لا تستثني منه مؤمن عن الكافر فالله سبحانه وتعالى ذكر أن الكفار
كانوا يعرفون أن الله خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم.

قال الإمام ابن تيمية (فإذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه محتاج
إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله) ويقصد الإمام بأن العبد إذا عرف أن ربه
على كل شيء قدير وأن ربه هو الذي خلقه فسيفتقر إليه العبد دائماً أو أحياناً؟
العبد المؤمن فيفتقر إلى الله دوماً أما العبد المشرك فقد يفتقر إلى ربه ويخلص الدعاء
إليه وإنما أخلص العبد الدعاء إلى الله تبارك وتعالى وافتقر إليه وكان مضطراً
فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب إليه وإن كان كافراً.

قال الإمام ابن تيمية (وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع إليه ويتوكل عليه لكن قد يطيع أمره
وقد يعصيه، وقد يعبده مع ذلك وقد يعبد الشيطان والأصنام) هذه الجملة تشكل
على بعض الناس ظنوا أن المقصود هنا بكلمة العبد هو المؤمن لكن المقصود بالعبد هنا
الكافر والمشرك فيقول الإمام ابن تيمية أن العبد الكافر والمشرك قد يتضرع إلى الله
وهو يعتمد عليه على الله ويتوكل على الله فإذا أمره الله سبحانه وتعالى يستجيب له

بقدر اضطراره وإخلاصه، هذا المعنى صار واضحاً له عندنا وهو استجابة الله

تبارك وتعالى دعاء الكافر المضطر. والله سبحانه وتعالى ذكر في مواضع من كتابه

أنه يستجيب دعاء من يدعوه سواء أكان مسلماً أو كافراً لوجود شرط الإخلاص

وهذا الدعاء يتعلق بمعنى الربوبية، ومن ذلك قوله تعالى (قل أرأيتكم إن أتاكم

عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف

ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) كذلك قال الله تعالى في هذا المعنى

(هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا

بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين

له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق)

يبين الله سبحانه وتعالى أنه ينجيهم لأنهم افتقروا إليه ولأنهم دعوه مخلصين له الدين

أي أخلصوا له في الدعاء. وقال تعالى (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر

عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون) كذلك قال الله تبارك وتعالى (وإذا مسكم الضر في البحر

ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) كذلك

قال الله تعالى (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى

البر إذا هم يشركون) علق ابن جرير الطبري على هذه الآيات فقال في معنى

الآيات "وإذا نالتكم الشدة والجهد في البحر ضل من تدعون تعبدون، ففقدتم من تعبدونهم

من دون الله من الأنداد والآلهة، فجاءكم عسر ضعفكم عن نفسكم ولم تجدوا غير الله مغيثاً

لنفسكم، دعوتموه فلما دعوتموه وأنتم ما أجاب دعاءكم وأنجاكم مما كنتم فيه

من هول البحر أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد والبراءة من الآلهة وإفراده

بالإخلاص لكفرا شكر نعمته»، فالله يستجيب للكافر في أمور الدنيا أما في الآخرة
فإن الله سبحانه وتعالى بين أن دعاء الكافرين في الآخرة في ضلال، الله سبحانه وتعالى
ذكر قوله (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) في موضعين: الموضع الأول في سورة الرعد
لأنهم دعوا غير الله فدعاؤهم في ضلال. فهم في الدنيا دعوا غير الله فالأصنام لن
تجيبهم كما قال تعالى «إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم
القيامة يكفرون بشرككم» فهؤلاء شبههم الله سبحانه وتعالى شبه دعائهم كباسط كفيه
إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.

والموضع الآخر الذي بين الله فيه أن دعاء الكافرين في ضلال: دعاء الكافرين الله في
الآخرة أن يخرجهم مما هم فيه كما قال الذين في النار (وقال الذين في النار لخزنة جهنم
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى
قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) فهذه الآية وردت في سياقين أنهم في
الدنيا دعوا غير الله فلم يستجب لهم وأنهم في الآخرة دعوا الله لكن في غير وقت الإجابة
فلذلك الله سبحانه وتعالى لم يستجب لهم.

تنبيه: أن المشركين الذين ذكرهم الله في الآيات السابقة كانوا إذا وقعوا في
ضائقة فإنهم يتركون كل الآلهة ويتركون كل الأصنام ويعقدون قلوبهم على ربهم
وحده، لكن كثيرا من المنتسبين إلى الإسلام اليوم إذا وقع في ضائقة أو شدة
أو كانت له حاجة أو أراد دفع ضر أو أراد أي حاجة له فإنه يسأل الحسين
ويسأل البدوي ويسأل أولياء الصالحين ونحوهم، وربما يكون المشركين في هذه

الجزئية أكثر منهم وإذا كان منهم لا بد أن يعتقد بتوحيد الله وحده في الشدائد.

يبين الإمام ابن تيمية رحمه الله أن من أعظم أخطاء العبيد أن الله تعالى

هو الذي خلقه وهو الذي يرزقه وهو الذي يحييه وهو الذي

يدبر أمره هذا لا يجعله مؤمنا إيمانا شرعيا ينقله من الكفر إلى الإسلام

وإن حفظ هذا جيدا حيث كثير لا يعلمه ولا يبالي به، وهذا لا يفرق بين المؤمن والكافر

لذلك قال الله عن هؤلاء (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون).

الإمام ابن تيمية رحمه الله لم يقل إن المشركين كانوا يؤمنون بالربوبية وهذا خطأ

وقع فيه كثير ممن تكلموا في مسائل التوحيد فقالوا إن المشركين الأوائل أو مشركوا

قريش كانوا يقرون لله بالربوبية هذا التعميم خطأ وهذا إطلاق خاطئ، قال

ابن تيمية (إن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره)

الصحيح هنا أن نقول ما نطق به القرآن وهو أن المشركين كانوا يقرون لله بالخلق

والرزق والتدبير وبعض أفراد الربوبية، أما أن نقول كانوا يقرون بالربوبية) وشيء يسير

فهذا خطأ وليس صحيحا.

فائدة: التوحيد هو أن يكون الدين كله لله ؛ وهو ما جاء به جميع الرسل

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وكما قال كل نبي لقومه

(اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فهذا التوحيد يدل على الانفراد والإخلاص من

بعض الناس يقول التوحيد هو جعل الشيء واحدا، ولا شك أن التوحيد

هو نسبة إلى الوحدانية فكلمة وحدت الله ليس معناها أني جعلته لله

واحداً، وإنما معناها نسبة الله إلى الوحدانية بأنه رب واحد وإله واحد ومن
الغلط معناها أن نقول التوحيد هو جعل الشيء واحداً، ولا تعطي الألفاظ معاني
الدالة على هذا المعنى وأن يكون الدين كله لله كما قال صاحب الكتاب فهو الدين لله
والحنيفية لله، عدم الإشراك بالله، الإسلام له، والاستسلام لله، البراءة من كل
ما عبد من دون الله. قال الله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)
وقال كذلك (فاعبد الله مخلصاً له الدين) فهذه كلها تؤكد هذا المعنى وهو معنى الإخلاص
وهو المعنى الأشهر كذلك لفظ الحنيفية كما قال الله عن عباده المؤمنين (حنفاء لله غير مشركين به)
وكما قال (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) فكلها من الألفاظ التي جاءت بالمعنى ويسمى أنه
شكل من أشكال المعاني أن نقسم إلى أكثر من لفظ التوحيد لأن لفظ التوحيد هو الأوسع
بينما لم يذكر الإله تفسيره أكثر من مفهوم السنة، واللفظ الأشهر هو الإخلاص.

فهذه المعاني لا تتحقق إلا بنفي وإثبات: إثبات أن الله تعالى هو وحده الرب
والإله الحق ونفي ذلك عن كل ما سواه وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله أي
لا معبود حق إلا الله، كل ما عبد سوى الله فهو باطل كما قال الله تبارك وتعالى (ذلك
بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل)

والمشركون لم يقروا هذا المعنى أن الدين كله لله وإنما كانوا يقرون بمعنى إفراد
معنى الرب، يقرون أن الله خلقهم ورزقهم وأن الله يدبرهم ويملك السمع والأبصار
ويملك الضر والنفع لكن هل هم كانوا يعملون بمقتضى هذه المعرفة؟ الجواب لا
لذلك كان الله سبحانه وتعالى يحتج عليهم بذلك فالله سبحانه وتعالى يقول لهم

إذا كنتم تقرون أن الله وحده هو الذي خلقهم ورزقهم وهو وحده الذي يدبر الأمر فكيف
تعبدون غيره.

المشركون كانوا يعلمون معنى لا إله إلا الله، لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
قولوا لا إله إلا الله، قال الله سبحانه وتعالى عنهم (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق
الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
إن هذا إلا اختلاق) حتى المشركون كانوا يعلمون دلالة قول لا إله إلا الله
وأن معناها أن يكون الدين كله لله تبارك وتعالى.

الله سبحانه وتعالى بين أن المشركين يقرون لله بالخلق والرزق والإحياء والإماتة
كما قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون)
وكما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)
ولكن كانوا مع إقرارهم بذلك يشركون به فإنهم كانوا يرجون الشفع ويطلبون الشفاعة من
غيره فكانوا يدعون غير الله فهذا يقتضي اعتقادهم أن غير الله عنده نفعا أو ضرا
لذلك من الخطأ هذا القول المشهور أن المشركين كانوا يقرون بالربوبية ويشركون
بالألوهية وإنما الصواب كانت عندهم بعض أفراد الربوبية والله سبحانه وتعالى كان
يحتج عليهم بإقرارهم أن الله تعالى متفرد بالخلق والرزق والتدبير فيلزمهم أن
يكون وحده المعبود. كما جاء في القرآن. كما جاء في سورة النحل وهي مكية

أبيهم إبراهيم التي ذكرناها وذلك في قول الله تبارك وتعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون ..... إلى آخر الآيات.

وكذلك في قول الله تبارك وتعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تعقلون.

إذا كان من الغلط أن يقول إن المشركين كانوا يفردون الله بتوحيد الربوبية هذا الإطلاق غير صحيح إنما يقال كما جاء في القرآن بأنهم يفردون الله بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والنفع والضر في الجملة ولكنهم لم يعطوا لحقيقة ذلك الإقرار لأسباب:

منها أنهم كانوا يدعون غير الله وهذا الدعاء يتضمن ظنهم أن غير الله يملك الضر والنفع أيضهم كذلك كانوا في كثير من الأمور يظنون أن الحجرة تملك الضر والنفع وقصدوه لطلبها والاستقسام بالأزلام أدل دليل على هذه الأمور فتبين أنهم ليسوا على التوحيد لا الربوبية ولا الألوهية والمعلوم أن توحيد الربوبية يستلزم أن نفرد الله تبارك وتعالى بالعبادة فكل من عرف أن الله خالقه ورازقه ثم عبد غيره فإنه لم يحقق لا الربوبية ولا الألوهية.

فائدة تفسيرية: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال فيها مجاهد وغيره من السلف إيمانهم قولهم إن الله خالقنا ورازقنا ومميتنا فهذا إيمان مع شركهم في عبادتهم غيره. لا يعني أن يكون معنى الآية أن يكون عندهم إيمان صحيح

المشركين الذين عندهم إقرار ومعرفة بأن الله خالقهم ورازقهم وغير ذلك لكنهم يشركون
في عبادة الله

فحاجة المؤمن إلى المعبود المخلص لله تبارك وتعالى والتي تميزه عن الكافر أن الموحد
يجعل دينه كله لله خالصًا لذلك قال الله تبارك وتعالى (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا
وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من
دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله) وقال تعالى في
قصة إبراهيم (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا
الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) والكلمة هنا
هي كلمة الإخلاص - لا إله إلا الله - فالإخلاص لا يتم إلا بأن تجعل الدين كله لله أن
تعلم أنه لا إله إلا الله أي لا معبود حق إلا الله.

استعمال لفظ الحقيقة عند الإمام ابن تيمية:

دلالة لفظ الحقيقة في لسان العرب والدلالة التي اشتهرت عنه وهي نقلة
اصطلاحية عند الصوفية: فإنهم يقولون الحقيقة التوكل على الله، الحقيقة الرجاء،
الحقيقة الخوف من الله، الحقيقة الحب، الحقيقة الإخوة.. إلخ، هذه التركيبة لم
تكن معروفة أيام الأعراب ولا في لسان النبي صلى الله عليه وسلم ولا جاءت في القرآن
لفظ الحقيقة في لسان العرب معناه هو ما يجب على الإنسان أن يحميه

وهي الأمور التي يجب على المرء أن يحميها أو يحفظها ويطلق ذلك على الراية

وتطلق كذلك على الحرمة والحاجات، وكل ما يلزم الرجل أن يدافع عنه.

قال عامر بن الطفيل:

لقد علمت هوازن أنني الفارس الحامي حقيقة جعفر - وحقيقة جعفر هو

ما في آل جعفر وديارهم من الحرم مما يحق للحامي أن يحميه ويدافع عنه.

لفظ الحقيقة عند الصوفية صار له معنى آخر:

يقول الحارث المحاسبي: الصدق حقيقته في الجوارح: القيام بالحدود ولزوم السبل

وحقيقته في القلب: إرادة الله بالعزم وإخلاص العمل له في الشغل.

وقال في حق الكبر التعظيم وحقيقته الأنفة وازدراء العباد

كذلك قال معروف الكرخي وهو من أئمة الصوفية:

حقيقة الوفاء إفاقة السر عن رقدة الغفلات

وقال أحمد بن الحواري:

حقيقة المعرفة المحبة له بالقلب والذكر له باللسان وقطع الهمة عن كل شيء سواه

والشواهد كثيرة عند الصوفية تقول بعضها حقيقة الجوع كذا، وحقيقة الصدق كذا

وحقيقة الرضا كذا كل هذا المعنى والدلالة لكلمة الحقيقة لم يكن موافقة للإسلام

العرب ولا لعهد النبي صلى الله عليه وسلم فالنبي الكريم ذكر تعريفة وذكر

معاني للإسلام والإيمان والإحسان وذكر معنى الغيبة ومعنى البهتان ومعنى

المفلس ولم يقل حقيقة الإيمان كذا وحقيقة الإحسان كذا ولا حقيقة الغدر كذا

معنى الإسلام والإيمان والإحسان كما في حديث جبريل ولم يقل حقيقة الإسلام

أو الإيمان أو الإحسان وإنما ذكرها مجردة دون كلمة الحقيقة.

أيضاً لما عرف الكبر فقال: الكبر بطر الحق وغمط الناس، ولم تكن حقيقة الكبر كذا
وكذلك في القوة لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه
عند الغضب. فكل هذه الأشياء لم تكن حقيقة الأسماء كذا، فحقيقة الإسلام كذا
وكذلك المسكين فإنه تحول هذه الكلمة من تعريف الأشياء وتذكر الكلمة
ومعناها المقصود عليه الشرع.

- اتفق الإمام ابن تيمية والصوفية المريدين ومعهم أهل هذا المعنى وهو الإرادة: أن
الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وأن الله سبحانه وتعالى رب كل شيء وما هذا الكون
فالله سبحانه وتعالى خلق الأشياء وكثير من الناس يعتقدون أن هذه الأشياء خلقت منها، إنما
يجب أن ترى ما تمليك هذه الأمور فهذا المعنى ضمنه الصوفية فقالوا هي حقيقة الكونية قدر الله
ومقصود الإمام ابن تيمية من أن هذه المعاني دون أن تكمل الله سبحانه وتعالى

- ويستقيم على شرعه لأنه الإقرار به وحده لا يكفي: إبليس كان يقر أن الله ربه وكذلك
أهل النار. قال إبليس (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض) وقال (أرأيتك
هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً)
أيضاً كان يؤمن بالبعث وكذلك الكفار (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا)
يريد الإمام ابن تيمية أن يقول إن هذه المعاني وهي الإقرار بأن الله هو الذي
خلق وهو الذي يدبر الأمر من الكفر لا يجدي لا يعتبر صاحبه مسلماً.

يقول الإمام ابن تيمية ((ثم يقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بإلوهيته وطاعة أمره وأمر رسوله كان من جنس إبليس ومن أهل النار، وإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله ومن أهل المعرفة والتحقيق والذين يسقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان، كان من شر أهل الكفر والإلحاد.))

يقول الإمام ابن تيمية بمعنى أن من يعتقد أن الله خلقني وأن الله يدبر أموري وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولم يحكم لأمر الله ولا شريعته فهو من جنس إبليس ومن جنس أهل النار،

ابن تيمية يتكلم عن غلاة الصوفية الذين سموا الفناء درجات فقالوا إن من يؤمن بالأمر والنهي ويفرق بين الطاعة والمعصية يعني بالسلوك هؤلاء هم العوام أما من عرف الحقيقة الكونية وشهد القدر وعرف أن كل هذه الأشياء من قدر الله فحينئذ لا يكون مكلفا بأوامر ونواهي وحينئذ يسقط عنه التكليف ويستوي عنده المؤمن والكافر والمعصية والطاعة لأنه شهد الحقيقة، فهؤلاء لا يظنون فقط أنهم ليسوا مكلفين وإنما يظنون أنهم من خواص أولياء الله وأنهم الخاصة وأن غيرهم هم العامة وهذا ضلال بل كفر أن يظن الإنسان أنه سقط عنه التكليف وليس ملزما بأي شيء من شريعة الله هذا بلا شك أنه كفر وإلحاد.

الله سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة يبين لنا هذا المعنى (إياك نعبد وإياك نستعين)
إياك نعبد في العبادة وإياك نستعين في القدر

شهود القدر:

طائفة من الناس ينظرون إلى كل الأفعال إلى أنها من قدر الله ومشيئة الله! إذا
فالله سبحانه وتعالى خلقها والله سبحانه وتعالى شاءها! إذا يجب تسويتنا بين كل هذه
الأفعال بناءً على أنها كلها بمشيئة الله وأنها كلها مخلوقة لله. وهذا خطأ لأن

الإرادة = المشيئة:

- الله سبحانه وتعالى في القرآن بين دلالات الإرادة. فإرادة الله منها الإرادة
بمعنى المشيئة وتكون هذه المشيئة بهذا المعنى فيما يحبه الله وفيما لا يحبه الله
(الإرادة الكونية): فالله سبحانه وتعالى قد يريد ما لا يحب وقد يحب ما لا يريد.

معنى الإرادة = المشيئة: ما قدره الله كونه وحدوثه فلا بد كائن لا محالة سواء كان مما أمر
يحبه الله وشرعه ويرضاه أم لم يحبه وهذه الإرادة إرادة شاملة
لا يخرج عنها شيء من الكائنات فكل الحوادث الكونية داخلة في مراد الله
- تبارك وتعالى. كما قال تعالى ((إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول
له كن فيكون)) وقال تعالى ((وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)) فالله سبحانه وتعالى أراد إهلاك القرية
وقال تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) الله سبحانه وتعالى
أراد الفتنة لأن الله يريد أن تعرف على الناس كما قال تعالى (فمن يرد الله
أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا)
إذا الله سبحانه وتعالى قد يريد بعض الضلال يريد أن يفتنهم كما جاء في قوم نوح القرآن
(ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم)

إذاً الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء والله قد يريد شيئاً ولا يحبه. فإن الله لا يحب أن يضل الناس ولكنه قد يريد ذلك لحكمة. إذاً المعنى الأول من معاني الإرادة هو المشيئة. فهذا يشمل ما يحبه الله وما لا يحبه فالله سبحانه وتعالى أراد من قوم الكفر والفسوق والعصيان مع أن الله لا يحب الكفر ولا الفسوق ولا العصيان لكن الله سبحانه وتعالى لا يريد شيئاً إلا لحكمة بالغة

المعنى الثاني للإرادة هو الذي اصطلح عليه بالإرادة الشرعية:

وهي المتضمنة لمعنى المحبة والتشريع فلا تكون إلا فيما يحبه الله ويرضاه ويشرعه والله سبحانه وتعالى قد يقدر هذا الشيء وقد لا يقدره: قال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقال تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) (والله يريد أن يتوب عليكم) وقال تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)

إذاً المعنى الثاني للإرادة بمعنى التشريع والمحبة وهذا قد يحصل وقد لا يحصل فكل الناس لم يتب الله عليهم ولكن الله قال (يريد الله أن يتوب عليكم) فقد يقدر الله كونه وقد لا يقدر الله كونه.

كذلك يدخل في ذلك القضاء والأمر والإذن والكتابة والإرسال والبعث والتحريم كل ذلك منه ما هو بمعنى الإرادة الكونية ومنه ما هو بمعنى الإرادة الشرعية؟ قال الله (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) فهذا قضاء

كوني يجب أن يقع) ولما قال الله سبحانه وتعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)

فقضى هنا بمعنى شرعي فالقضاء كالإرادة له دلالتان إما أن يكون بمعنى

المشيئة وإما أن يكون بمعنى التشريع والحكم

كذلك الإذن منه إذن شرعي ومنه إذن كوني: قال الله تعالى عن السحرة (وما هم بضارين

به من أحد إلا بإذن الله) الإذن هنا بمعنى المشيئة. وقال كذلك الله عن المسيح عيسى بن مريم

(فيكون طيرا بإذن الله) أي بمشيئة الله وقال كذلك الله سبحانه وتعالى (وما كان لنفس

أن تموت إلا بإذن الله) فالإذن هنا بمعنى المشيئة أي أنه القضاء الذي لا بد أن يحصل.

ولكن هناك معنى آخر للإذن أي شرعي مثلا قال الله (آلله أذن لكم أم على الله

تفترون) (فأذنوا بحرب من الله) فالإذن هنا بمعنى التشريع

كذلك الكتابة (كتب عليكم القتال) هنا بمعنى شرعي، أما (كتب ربكم على

نفسه الرحمة) هنا بمعنى شاء ذلك وقدره وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)

هذه الكتابة كونية يجب أن تقع.

إذا كل هذه المعاني الإرادة والأمر والقضاء والإذن والتحريم والبعث

والإرسال والكلام والجعل كل هذا منه ما هو كوني يجب أن يحصل وقد يكون

فيما يحبه الله وفيما لا يحبه الله ومنه ما هو شرعي لا يكون إلا فيما يحبه الله

وقد يقدر الله وقوعه وقد لا يقدر وقوعه.

(العنق) لا تلازم بين المشيئة والمحبة، فإن الله قد يحب شيئاً ولا يشاؤه وإن

الله سبحانه وتعالى قد يشاء شيئاً ولا يحبه، لكن الله سبحانه وتعالى عليم حكيم.

فهؤلاء الغلاة من الصوفية جعلوا كل ما شاءه الله فهو يحبه كل ما خلقه الله فهو يحبه.

وهذا هو أصل ضلالهم فهم بذلك لم يجمعوا بين القدر والشرع لأن الجمع بين

القدر والشرع = أن تؤمن بأن الله عليم وكتب وشاء وخلق ومع ذلك تستقيم

على أمره أما أن تسوي بين الأمور بين الطاعة والمعصية وبين الكفار والمؤمنين

وبين الأبرار والفجار وبين الأنبياء المشركين وبين الأنبياء وإبليس وتقول

أن الجميع بمشيئة الله وخلقه فهذا هو أصل ضلال هؤلاء.

(77) من أخص مقاصد الكتاب: تقرير مسألة شهود القدر عند غلاة الصوفية.

(الجمع بين الشرع والقدر) = أن تؤمن أن الله تبارك وتعالى يعلم كل شيء

والله سبحانه وتعالى بكل شيء عليم وأن الله تعالى حكيم وأن الله سبحانه وتعالى

كتب في الذكر كل شيء وأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون

وأن الله خالق كل شيء ومع ذلك تؤمن أن العبد له قدرة وله استطاعة وله اختيار

وجعله مكلفاً وأن الله سبحانه وتعالى أمر العبد بأن يستقيم فالإيمان بالقدر

أن يستقيم العبد على شريعة الله.

في هذا الباب من الجمع بين الشرع والقدر ضل فيه طائفتان: غلاة الصوفية

الذين اعتمدوا القدر فضيعوا الأمر والنهي وطائفة المعتزلة الذين

عظموا الأمر والنهي فنفوا خلق الله ومشيئته لأفعال العباد.

[illegible] الصوفي

فقال غلاة الصوفية: بما أن الله خلق كل شيء ومن هنا تستوي عندنا كل الأمور

هذا الباب ، فهم ينظرون إلى كل حادثة ونازلة على أنها من عند الله فيسوون بين

ويظنون أن ذلك هو التسليم لا وهذا جهل.

العبد نوعان = مُعبَّد وعابد فالمعبد هو الذي ذلَّ لله والعابد هو الذي يعبد

الله اختياراً.

عند غلاة الصوفية أن الخضر ونحوه سقط عنهم التكاليف لمشاهدة الإرادة: أي نظروا

أن الله هو الذي شاء كل شيء فاستوى عندهم الأمور ، استوى عندهم الطيب بالخبيث

والمعروف بالمنكر ، الطاعة بالمعصية لذلك سقطت التكاليف فهم يقولون أن العبد

مراتب: المرتبة الأولى: الإنسان يرى أنه مكلف بأوامر ونواهي فيفرق بين المؤمن

والكافر والطاعة والمعصية فيترقى في العبادة شيئاً فشيئاً فيشهد القدر فيرى

أن الكل من عند الله فيستوي عنده المؤمن بالكافر الطاعة بالمعصية المعبود بالمشرك

ثم بعد ذلك يفنى عن كل ذلك فيتحد بالله = وحدة الوجود والحلول والاتحاد.

وهذا قول كفر وقول باطل.

يقول الإمام ابن تيمية: لا يستقيم إيمان عبد حتى يجد إيمانه أن الله كتب وعلم

وشاء وخلق كل شيء حتى يستقيم على أمر الله ونهيه ويدخل في العبودية الثانية من العبد

وهو العابد الذي يعبد الله باختيار وإرادة ، ومن هذه الاستقامة يلزم منه

الطاعة والمعصية وهو أنه يجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ويجب عليه أن يوالي

أولياء الله وأن يعادي أعداء الله.

قال ابن تيمية ((وأما الصنف الثاني فهو الصنف المقر بالحقيقة سواء أقر بذلك أو أنكره فهذا الصنف يشترك

فيه المؤمن والكافر وبالتوحيد من هؤلاء الصوفية ليعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة

في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي التي يحبها ويرضاها ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته وبين

الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق

الدينية كان من أتباع إبليس اللعين والكافرين برب العالمين ومن اكتفى فيها ببعض

الأمور دون بعض أو في مقام دون مقام أو حال دون حال نقص من إيمانه وولايته لله بحسب

ما نقص من الحقائق الدينية)) وهذا من أعظم مقاصد الكتاب أن ابن تيمية رحمه

الله يجمع بين الشرع والقدر يجمع بين أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ومليك كل شيء

من الذكر وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه خالق كل شيء وبين وجوب الاستقامة على شريعة

الله وأنهما ليسا متلازمين ولا يسقط هذا الاحتجاج إلا الجاهل.

يرى الإمام ابن تيمية رحمه الله أن يقول إن هذا المقام مقام عظيم وهو أن تجمع

بين قدر الله السابق وبين التكليف والتشريع لأن بعض الناس يقول إذا كان الله

علم ما سأكون وكتب وخلق أفعالنا فلماذا التكليف والحساب؟ فالله سبحانه وتعالى لم يكلفنا إلا على

شيء أنت قادر عليه ومختار فيه وما لم يكن فالله لا يكلفك إلا بالفعل الذي تطيقه

والذي تستطيعه مثل ما خرج عن علمك أو قدرتك أو اختيارك فليست مكلفاً به

لذلك يسقط التكليف عن الإنسان بالجهل وبالإكراه وبالخطأ. فهذا المقام عظيم

غلط فيه كثير من الشيوخ والسالكين.

(فائدة) من حكمة ورحمة الإمام ابن تيمية رحمه الله بالمخالف كان أحيانا يأتي ويصحح
كلام أئمتهم لكي يكون سببا في هدايتهم ويبين أنهم خالفوا أئمتهم ولم يخالفوا
فقط الصحابة وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهذه من فوائد الاستدلال
ابن الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتبه على المخالفين بكلام أئمتهم لكي يكون أقوى في الحجة عليهم
لكن ابن تيمية ينتقي من كلام أئمتهم ما صح عنهم والصوفية درجات وابن تيمية كان عادلا
منصفا في الحديث عنهم ويبين أن أكابر الصوفية الذين انتسبوا للتصوف هم لم يسموا
أنفسهم بالصوفية لكن الأتباع هم الذين أطلقوا عليهم هذا لأنهم هم كانوا مشهورين
بالعباد أو الزهاد والعلماء لكن أتباعهم هم الذين نسبوهم إلى هذا المعنى ولهذا
كان الإمام ابن تيمية رحمه الله كثيرا ما يثني عليهم وكثيرا ما يبين فضلهم ويبين اتباعهم للسنة
ولهدي الصحابة وكثيرا ما كان الإمام ابن تيمية يحتج عليهم بأقوالهم وبأقوالهم على حسب
المسألة التي يتكلم فيها

(فائدة) كيف ننظر إلى أقوال المخالفين: لا ينبغي أن ننظر إلى اللفظ فقط وإنما ننظر
إلى المقصد والمعنى ولا بد من فهم المقالة وفهم دلالات الألفاظ من كان
الأشخاص يريد معنى صحيحا ولكنه أخطأ في اللفظ فلا بد أن نفصل بين
معاني الألفاظ حتى لا نظلم الخصم. قال ابن تيمية رحمه الله «لفظ الفقر والتصوف قد أدخل
فيها أمور يحبها الله ورسوله فتلك يؤمر بها وإن سميت فقرا أو تصوفا لأن الكتاب
والسنة إذا دل على استحبابها لم يخرج عن ذلك بأن تسمى باسم آخر» يريد أن يقول
الإمام ابن تيمية أن كثيرا من الصوفية يستعمل ألفاظا غير شرعية في معاني شرعية.

مثلاً من قصد بلفظ المشروع العبادة والاستقامة فلا يصح أن نرد هذه المعاني

لأنها معانٍ صحيحة، فتقبل هذه المعاني ونمنع ذلك المستخدم اللفظ الشرعي،

ثم قال: كذلك ابن تيمية وقد أدخل فيها أمور يكرهها الله ورسوله كما يدخل فيها

بعضهم نوع من الحلول والاتحاد وآخرون نوعاً من الرهبانية المبتدعة في الإسلام

وآخرون نوعاً من المخالفة للشريعة إلى أمور استحسنوها الى غير ذلك من الأمور

ثم ذكر بأن الكلام كثير» هنا ابن تيمية يتعامل مع المعاني وليس مجرد الألفاظ

وآخرون استخدموا ألفاظاً شرعية في معانٍ غير شرعية كالمعتزلة استخدموا لفظ

التوحيد والعدل وهذه ألفاظ شرعية ولكن أرادوا بها أموراً أخرى يريدون

بالتوحيد نفي كل الصفات لأن التوحيد عندهم هو إفراد الله بالقدم

فهو لفظ حسن لكن المعنى باطل، كذلك يقصدون بالعدل أن الله لم يخلق

أفعال العباد ولم يشأها وأن العبد يخلق فعل نفسه، فهم استعملوا معاني شرعية

في معانٍ باطلة ويعدهم كذلك قد استعملوا ألفاظاً ليست شرعية في معانٍ باطلة

فقال الإمام ابن تيمية «والمؤمنون الكيسون يوافقون كل قوم فيما وافقوا فيه الكتاب

والسنة وأطاعوا الله ورسوله ولا يوافقونهم فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة أو عصوا

فيه الله ورسوله ويقبلون من كل طائفة ما جاء به الرسول ومتى تحرى الإنسان الحق

والعدل بعلم ومعرفة كان من أولياء الله المتقين وحزب الله الغالبين»

هذا هو الإنصاف والعدل والحكمة أن تقبل الحق من كل من جاء به حتى من تبغض

عليه كافة ونستثمره ونستدل به.

استدلال الإمام ابن تيمية بمقولة عبد القادر الجيلاني أحد أئمة الصوفية -
على غلاة الصوفية الذين احتجوا بالقدر وأهملوا الأمر والنهي.

فيبين أن عبد القادر الجيلاني يقول أن كثيرًا من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء
والقدر أمسكوا إلا أنا فتحت لي هذا الباب انفتحت لي فيه روزنة - طاقة -
فنازعت أقدار الحق بالحق للحق) أي فنازعت أقدار الله بما أمر الله
به من الاستقامة على الشريعة والأخذ بالأسباب والعمل والدعاء لدفع المكروه والبلايا كالأمراض
فيقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: أما بعض المولَّهين الذين يظنون أن الاستسلام
إلى المصائب وعدم الأخذ بالأسباب وأن ترك الاستقامة والطاعة يظنون ذلك
تسليمًا لأمر الله وقضائه فقال هذا خطأ إنما أنا حاربتها وأخذت
بالأسباب التي تزال بها المصائب وبذلك استحق حكم الذي أمر الله تعالى به
في كتابه لدفع المكروه وما أراد وعيد الله. وهذا هو مقام الجمع بين الشرع والقدر

ويقول الإمام ابن تيمية إن كثيرًا غلطوا في هذا الباب فظنوا أن من ابتلي
بالمعاصي أو بالكفر قالوا نسلم لذلك بناءً على أن الله شاء ذلك وخلقه
وقدره وهذا ضلال فإن الله لا يرضى لعباده الكفر وأن الله كره إلينا
الكفر والفسوق والعصيان وأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالعدل والإحسان
وإيتاء ذي القربى، فابن تيمية رحمه الله يقول إن هؤلاء الذين يظنون
أن الاستسلام لذلك موافقة دين وعبادة هؤلاء يشبهون المشركين

الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وقالوا

(أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) وقالوا: (لو شاء الرحمن ما عبدناهم)

فهؤلاء جعلوا مشيئة الله وتقديره لعمله وكفره حجة على شركهم وضلالهم وهذا

من الضلال لذلك الله سبحانه وتعالى لم يرد عليهم هذه الشبهات لأن الله سبحانه

وتعالى أمر أن يذكر الشبهة ولا يرد عليها لكونها أساسًا باطلة في نفسها ولكون من

يسمع بها يعلم أنها باطلة ومثال ذلك قال الله تعالى (وإذا فعلوا فاحشة

قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فماذا قال الله: قال (قل إن الله

لا يأمر بالفحشاء) ولم يرد على أنهم وجدوا آباءهم عليها لأن هذه حجة

واضحة بأن تقليد الإنسان آباءه على شيء مشتبه وهذه البديهية

تكلم الإمام ابن تيمية عن المصائب وهي السيئات التي تصيب الإنسان

كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) فالسيئة قد تأتي بمعنى المعصية

أو بمعنى الإثم وقد تأتي بمعنى المصيبة كما كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم

(نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا) ولكن قال تعالى (وإن تصبهم

حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) فالسيئة

هنا بمعنى المصيبة والحسنة بمعنى النعمة) فالمصائب التي تصيب الإنسان قد تكون

بسبب منه فالإنسان قد يذنب فيصاب قال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)

وقال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)

وأيضًا (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)

فالمصيبة قد تكون بسبب من العبد نفسه من تفريط أو تعدي، وقد تكون هذه المصيبة
لسبب من العبد خارج عن قدرة العبد وليس بسبب تقصيره فعليه إن كان
كل هذه المصائب أن يرضى ويسلم. قال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله
ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا
في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم) فهنا يريد الإمام من شيء أن نفرق بين أمرين: بين الاحتجاج بقدر
الله على ما نفعل من المعاصي، وبين الرضا والتسليم لقدر الله. وتوضيح هذه
القضية في الحديث: في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: احتج
آدم وموسى فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه
وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟
فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه فهل وجدت ذلك
مكتوباً علي قبل أن أخلق؟ قال «نعم» «فحج آدم موسى».
وهذا الحديث بناءً على فهمه الخاطئ ربما يجد فيه حجة قوية للذين
يحتجون بالقدر على ما يفعلون به من المعاصي، فكل من يعصي لو قلت له اتق الله ربما قال لماذا
تعاتبني الله قدر علي ذلك فهؤلاء فهموا أن آدم احتج بالمعصية
أي أنه أكل من الشجرة بتقدير الله، فيقول لموسى أنا أكلت من الشجرة بتقدير الله فلماذا
تلومني أو تعاتبني، وهذا الفهم باطل، فموسى لم يعاتب آدم ولم يلمه على
الأكل من الشجرة أبداً، فالأكل من الشجرة لا ذكر له في الحديث، ولا الذنب الذي
فعله آدم لأنه تاب منه، وإنما لامه على المصيبة التي ترتبت من الأكل من الشجرة

فما عابه بسبب ذلك أنه أخرج من الجنة ذريته من المصيبة التي لاقوه من ترك خليل
وليس على الذنب فآدم تاب الله عليه قد غفر له الاعتراض فلم يحتج آدم بالقدر
السابق على المعصية وإنما ذكر بالحجة لموسى المصيبة التي أصابته بسبب ذنبه
وبسبب هذا الفهم الخاطئ ونحوه من المعتزلة هذا الحديث لأنه يسوغ للناس أن
يعصوا ربهم ويحتجون بالقدر. ثم أيضا بسبب هذا الفهم الخاطئ احتج جماعة به
على معنى باطل وهو أن الإنسان إذا فعل أي معصية أي كبيرة يقول إنها
من قدر الله. فالعاقل أبدا لا يمكنه أن يحتج بالقدر على أفعاله الاختيارية.
فنبه الإمام ابن تيمية أن القول الباطل يرد بالحق وبالعقل والقول الحق
يعضد بالحق والعقل. ولو كان الاحتجاج بالقدر حجة لكان حجة وعذرا لإبليس
وقوم نوح وقوم هود وكل كافر. لذلك قال الله تعالى (قل فلله الحجة البالغة
فلو شاء لهداكم أجمعين) أي لو شاء لهداكم جميعا ولكنه أعطاكم عقولا واختيارا
حرا كما سبق.

(فائدة) ما قدر من المصائب سواء بسبب العبد أو بغير سبب منه يجب الاسترجاع
لها والتسليم من تمام الرضا بالله ربا وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب ولم يشرع
له ذلك، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من الذنوب المعايب ويصبر
على المصائب. قال الله تعالى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك) = الصبر
على المصائب والاستغفار من المعايب. (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا)
وقال يوسف (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)

انتقل الإمام ابن تيمية من فكرة المقاومة للعبد على قدره وعدم احتجاج العبد بالقدر على ذنوبه إلى الانتقال من ذلك إلى أمر آخر هو كيف ننظر إلى أفعال الناس أو أفعال العباد لأن غلاة الصوفية الذين قالوا إن مسألة شهود القدر قالوا نحن سقطت عنا التكاليف لأننا شهدنا القدر، وشهدنا أن كل ما هو كائن بقدر الله فبالتالي سقطت التكاليف لا صلاة ولا زكاة ورتبوا على ذلك كل المعاصي، وهؤلاء لم يتوقفوا عند ذلك ولكن قالوا نستوي عندنا الطاعة والمعصية والمؤمن والكافر، فإذا زنا أحدهم أو شرب أو فاحشة أو سرق أو قتل ما يجرؤ أن يسب الله أو يفعل أي كبيرة يقولون هذا بقدر الله ويقولون إن كان هذا الرجل عصى الأمر والنهي فقد أطاع القدر فابن تيمية يقول لا فائدة لمن خالف الأمر أن يحتج بالقدر بل لذلك يجب أن نزن أفعال الناس بميزان الشرع أي إذا فعلوا ذنباً فأمرهم ونهيهم فالحكم الذي يحاسب عليه القول بأن شهود القدرة يسقط عنه الإصلاح وترك شعيرة الأمر والنهي بل ترك الأخذ بالأسباب.

- قال أحد المفكرين الغير مسلمين: "إن قال كان الإيمان بالقدر قد ثبت في الصحابة ومن جهلة العباد فكان الصحابة آمنوا بقدر الله وآمنوا بوجوب الأخذ بالأسباب فنصرهم الله أما هؤلاء الجهلة فإنهم ظنوا أن الإيمان بالقدر يقتضي ترك الأخذ بالأسباب فتركوا وتكاسلوا"

فمن مقتضى الجمع بين الشرع والقدر أن يؤمن الإنسان بأن الله تبارك وتعالى بكل شيء عليم وأن الله حكيم وأن الله سبحانه وتعالى كتب كل شيء في الذكر وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله خالق كل شيء ومن ذلك أفعال العباد فإن للعبد قدرة واختيارا ولهذا يحاسب بما عمل خيرا وشرا ويجب عليه أن يستقيم على أمر الله ويجب عليه أن يفرق بين ما فرق الله بينه (الطاعة والمعصية) وبين (أولياء الله وأعداء الله) ويجب كذلك أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بمقتضى الشريعة.

يريد الإمام ابن تيمية أنه يشتمل الأمرين: الأمر الأول: وهو وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه. الأمر الثاني: وهو التفريق بين ما فرق الله بينه وبين غيره. فالله تبارك وتعالى الذي خلق كل شيء فرق بين الأشياء قال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) وقال (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات)

أي يجب اتباع الوحي في التفريق بين ما فرق الله بينه وبين غيره. فلا يصح أن نقول إن الله خلق المؤمن والكافر وبالتالي هما سواء فكلاهما سواء من خلق الله من هذه الجهة ولكنهما ليسا سواء عند الله فالله سبحانه وتعالى قال (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)

شرح كتاب الصوفية - الدرس الخامس

يبين الإمام ابن تيمية أن مسلك غلاة الصوفية الذين يزعمون أنهم من شهود
القدر = أي من نظر إلى أن كل أمر وفعل إنما هو بقدر الله يستوي عنده المؤمن
والكافر ويستوي عنده السنة والبدعة، وبيّن الإمام ابن تيمية رحمه الله أن مسألة شهود
القدر الصوفية فيها درجات. وأن هذه الدرجات بناءً على ما ذكره هم من
هدي النبي صلى الله عليه وسلم؟ فهو هنا يقصد الذين تسموا باسم الصوفية
أو الذين نُسبوا إلى التصوف: فابن تيمية رحمه الله يجعل أهل هؤلاء علماء
وهو جاء من السنة أمثال: الفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله
التستري، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، ثم
بين أنه حينما ظهر علم الكلام واختلط بالتصوف نشأ طائفة أخرى من هؤلاء
الذين جمعوا بين التصوف كمذهب في السلوك وبين الأشعرية أو علم الكلام كمذهب
عقدي ومن هؤلاء مثلا: الغزالي والقشيري صاحب الرسالة القشيرية التي ردّ عليها
ابن تيمية في كتاب الاستقامة، لكن الجناح الأخير من الصوفية وهم الذين سماهم ابن
تيمية فلاسفة الصوفية أو ما يطلق عليهم أحيانا ملاحدة الصوفية ومن هؤلاء كابن عربي،
وابن سبعين، والقونوي، وابن الفارض، والعفيف التلمساني، فهؤلاء الذين قال
عنهم ابن تيمية رحمه الله أنهم أخذوا من الفلسفة فكسوه ثياب الزندقة. وابن تيمية
كثيرا ما يعبر عن هؤلاء بأنهم غلاة الصوفية، فهؤلاء أي الطائفة الأخيرة
خلطوا مع التصوف علم الكلام الفلسفة، وقالوا مقالات كفرية ومنها

مقالة الحلول والاتحاد ومعنى الحلول هو أن الله حل في شخص كالنصارى قالوا
أن الله حل في العالم فهو ما ثم موجود إلا الله - وحاشاه أن يكون كذلك ،
فابن تيمية رحمه الله هنا يتكلم عن أسوأ الصوفية الغلاة في مسألة شهود
القدر فبين أن هؤلاء آل بهم الأمر إلى أن شهدوا الله بكل موجود وجعلوا
ما يحققه من العبادة والطاعة هنا أن كل موجود هو الله وهذا أعظم الكفر والإلحاد
في دين العباد ،

يبين الإمام ابن تيمية أن مسألة شهود القدر التي بدأت مع هؤلاء بكونهم
سووا بين الأشياء بحكم أن كل هذه الأشياء هي بمشيئة الله وبخلق الله
فسووا بين الطاعة والمعصية وبين أولياء الله وبين أعدائه وبين الكافر والمؤمن
إلى غير ذلك آل الأمر بهؤلاء أنهم شهدوا الله بكل موجود وهذا ما يسمى
بوحدة الوجود ، وهي مقالة فلسفية مفادها أن الله لم يخلق الخلق وإنما
فابن عربي يرى أن الله سبحانه وتعالى هو وجوده بالوجود ليس هناك وجود غير الله
سبحانه وتعالى فالله هو عين الوجود ، والحلول هو أن الله حل في بعض المخلوقات
واتحد معها كما قالت النصارى في المسيح عيسى بن مريم يزعمون أن الله حل فيه
أما الاتحاد فهو أن الله هو المخلوقات - تعالى الله تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
فيريد ابن تيمية الإمام ابن تيمية رحمه الله أن هذا انتهى مع هؤلاء من الضلالة
أنهم جعلوا وجود الله هو وجود المخلوقات ثم قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى

بمعنى أن الأتباع لا يشهدون أنهم عباد الله لا بمعنى أنهم مخلصون ولا بمعنى أنهم عابدون له

لا بمعنى الأول أنهم يشهدون أن الله خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ولا بمعنى العابد

الذي عبد الله اختياراً وجعل دينه كله لله. ويشهدون أنهم هم الله كما صرح به الله

عن أغبيائهم كابن عربي صاحب (الفتوحات) وأمثاله من الملحدين المفترين كابن سبعين

فوائد هامة:

الفيلسوف: يرى أن العقل وحده كافٍ لتفسير العالم، وأن العقل وحده كافٍ في الحكم على ما إذا يستطيع أنه يفسر العالم وهو لا يرجع إلى النقل ولا يلتزم بكلام نبي ولا غيره.

النبي: هو شخص أوحي إليه وأمر بالبلاغ والله سبحانه وتعالى أمره أن يبلغ ذلك بقوله وعمله فهو لا يؤسس دينا - كل ما يأتون به من أنه له سلطة وتشريع - كالنبي يبلغ عن الله. وهو نموذج لما يرضاه الله من الأقوال والأفعال.

الفقيه: هو شخص يطلب الحكم الشرعي في مسائل الدين.

المتدين: هو شخص مصدق ومعترف وملتزم بأي دين، وربما يقع له مخالفة عملية أو هوى لكنه ملتزم بالالتزام به في الجملة، فهو لديه التدين وحماسة.

ألفاظ هامة = المقالة - الدين - الملة - الفرقة - المذهب العقدي - الجماعة - الحزب - النحلة = المذهب العقدي: هذه الألفاظ تستعمل فيما يسمى بعلم المقالات.

علم المقالات: هو دراسة معتقدات الناس وأقوالهم الخاصة بمسائل الإيمان والعقيدة والإسلام سواء عند الفرق الإسلامية وغيرها من الملل والنحل.

المقالة: هي الاعتقاد أو الفكرة = الإرجاء مقالة، التعطيل مقالة، الجبر مقالة، التشبيه مقالة، الرفض مقالة، النصب مقالة، نفي القدر مقالة، وحدة الوجود مقالة، مرتبطة بمسائل الإيمان والوجود والأحكام

الإرجاء: مقالة معناها أن العمل خارج عن مسمى الإيمان

التعطيل: أن الله سبحانه وتعالى ينفى عنه ما أثبت له من معاني الأسماء والصفات

الجبر: معناها أن الإنسان ليس له قدرة ولا اختيار على فعله.

التشبيه: أن الله يشبه خلقه.

الرفض: هو رفض خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

النصب: هو نصب العداء لآل البيت.

وحدة الوجود: وجود الله هو وجود المخلوقات.

هذه المقالات قد يقول بها فرق وتختلف، مقالة الإرجاء يقول بها فرقة المرجئة والكرامية والأشعرية والكلابية والجهمية هذه فرق يقولون وتختلف في المقالة لكنهم في باب الإيمان مرجئة

كذلك التعطيل مقالة معناها نفي معاني الأسماء والصفات أو بعضها هذا التعطيل يقول به الجهمية والمعتزلة ويقول ببعضه الأشعرية، والجبر كذلك يقول به الجهمية والأشعرية على اختلاف في الدرجة.

علم الملل: هو العلم الذي يدرس عقائد الأديان - أي أهل الأديان كدين اليهود ودين النصارى ودين المسلمين.

علم الفرق: يدرس اختلاف الناس تحت الدين الواحد في مسائل أصول الدين فالنصارى مثلا بينهم خلافات عقدية ولهم فرق = الكاثوليك - الأرثوذكس - البروتستانت

وفي الإسلام مثل الخوارج - المعتزلة - الشيعة - الكرامية - الأشاعرة - الكلابية - أهل السنة

فهم جميعاً تحت دين واحد وهو الإسلام لكنهم اختلفوا في المسائل الكبار

المذهب الفقهي: هو العلم الذي يدرس اختلاف العلماء في الدين الواحد في مسائل فروع الدين وأحكامه - مسائل الفقه، كالحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والظاهرية.

علم المذاهب الفلسفية (علم الملل): هو العلم الذي يدرس المذاهب التي هي تشابه ديناً ويدين بها مثل الليبرالية - العلمانية - الشيوعية - القومية - الماركسية.

فقد اسموها المذاهب الفلسفية أو الملل أي أنه ليس ديناً يزعم أهله أنه نزل من السماء.

الأحزاب السياسية: هي كيانات تشارك في مجال سياسي تشكلت من أجل إقامة دين أو منهجها

الجماعات: هي كيانات تحت دين واحد تختلف باعتبار منهجها في الدعوة والإصلاح والتغيير ويدخل فيها هؤلاء: جماعة التبليغ والدعوة - الجماعة الإسلامية - أنصار السنة - السلفية الجهادية - الدعوة السلفية - المدخلية - الحازمية كل هؤلاء يسمون جماعة

وحدة الوجود هي مقالة قال بها فرق وجماعات كثيرة، كما يقول بها بعض الفلاسفة قبل الإسلام وقبل الأديان وكذلك قال بها الصوفية كابن عربي وشيعته، وثمة مقالة قال بها أكثر من فرقة مثل العلمانية وهي مقالة تعني أنه لا يكون للدولة مرجعية مقدسة حاكمة في الحكم أو السياسة أو الاقتصاد أو الأخلاق، هذه المقالة تقول بها الليبرالية والعلمانية والشيوعية والماركسية، فكلهم يتفقون على هذا المعنى وإن كان بينهم خلافات كثيرة.

كذلك مقالة المعطلين قال بها الجهمية والمعتزلة وقال ببعضها الأشاعرة والماتريدية

ابن تيمية رحمه الله يحكم على هؤلاء كابن عربي وابن سبعين والتلمساني وابن الفارض

وغيرهم من هؤلاء الذين زعموا أنهم حققوا التوحيد وادعوا ذلك وادعوا التحقيق وادعوا

العرفان أنهم عارفون بالله فكذبهم الإمام ابن تيمية وقال هذا ليس شهود الحقيقة

وكذب ادعائهم وبين أنهم بذلك لم يشهدوا الحقيقة الكونية حتى التي يشهدها الكافر

ولا الحقيقة الدينية التي بشهودها يحققوا عبادة الله تبارك وتعالى مطيعين له

مستقيمين على أمره وقال ابن تيمية عنهم بل هم ضلال وعمي عن شهود الحقيقة الكونية.

فهم قالوا ما ثم موجود إلا الله فالعبد رب والرب عبد عندهم فتعالى ووصفوا الله تعالى

وصفًا محدودًا ومذمومًا وهذا من الضلال والكفر.

لقد مايز ابن تيمية رحمه الله ضلال هؤلاء أراد أن يرد هذا النزاع إلى أصله

فساهم الإمام ابن تيمية رحمه الله من أول الوهلة ما بين ضلال هؤلاء وبين معنى الجمع

بين الشرع والقدر.

أراد الإمام ابن تيمية أن يعطي المعنى الشرعي لألفاظ هؤلاء الغلاة بدلًا من أن يفهم

منهم اللفظ لم يعط هذا اللفظ بالمعاني الشرعية وسيبدل بهذه المعاني الشرعية

فهم تكلموا بلفظ الفاقة والحاجة وقال هم لا يعرفون درجاتها ولكن حسب ابتعادهم

للقرآن والسنة وعلمهم بالقرآن والسنة فالتقى الإمام ابن تيمية مع مناط التقسيم

هؤلاء يرون أن مناط التقسيم هو شهود القدر وابن تيمية القدر حق حقق

التوحيد أكثر منه من علم بأمره وعاش بين النهي والحاكم سبحانه وتعالى.

ثم هناك من يرى أن العبد قد يصل إلى منزلة فيسقط عنه فيها التكليف كما أنكر
الإمام ابن تيمية عليهم ذلك ومن يرى أن العبد مكلف حتى يموت حتى ما يلقى عليه تكليف
فهو مكلف بأن يحاسب ربه من سنة وما دينه، وكذلك يوم القيامة لما يسجد المؤمنون
لله يريد أيضاً تكليف ولا يستطيع أن يسجد الكفار والمنافقون.

(فائدة) المؤمنون درجات، والكفار درجات، والمنافقون درجات، وليس هناك أفراد
يجتمعون على شيء واحد ويتساوون فيه فلابد أن يكون بينهم فروق. هم درجات عند الله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لله أهلين من الناس» قيل من هم يا رسول الله
قال: «أهل القرآن وخاصته» ابن تيمية عندما يتكلم عن أهل القرآن لا يقصد حفظة
القرآن، المقصود من أقبلوا إلى القرآن وعملوا بما في القرآن فهذا هو المناط
الأصلي إذا حفظه بذلك فهو زيادة، إذا لم يحفظه فهم داخلون في أهل القرآن
كذلك أهل الحديث هنا نقرأ عبارات للأئمة يثنون على أهل الحديث يقصدون في
محل كلامهم من اعتمدوا الحديث الحجة الشرعية الأولى لا يقصدون بذلك رواة الحديث فقط

تعريف الإمام ابن تيمية رحمه الله إذا كان الله كفر النصارى لكونهم جعلوا الله
الآلهة بالمسيح فكيف بمن جعل الله عاماً في كل مخلوق، فهذا أشد كفراً من هذا الوجه.
يبين الإمام ابن تيمية أن أهل السنة مع إيمانهم بقدر الله السابق لم يتواكلوا
مع علمهم بشرع الله - الأمر والنهي - لذلك يقولون إياك نعبد وإياك نستعين
إياك نعبد نعبدك وهذا هو الشرع، وإياك نستعين هو القدر أنه الإسلام

يستعينه الله تبارك وتعالى ، ثم بين ابن تيمية أن أساس دين أهل الإسلام الذين
مقصودهم هو الفقه عبر ، وكذلك الصلاة [illegible] لأنهم من جملة طاعة الله التي يقومون بها
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله لأهل الكفر والطاعم وإقامة الدين
وإزالة ما قدر من السيئات والمصائب . فإن شيخ هنا يبين هذا المعنى العظيم وهو
أن تعلم الإنسان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله على كل شيء قدير وأن
الله خالق كل شيء فعل أنه يقيم السماء والأرض وهو أن الله خالق كل شيء لا يتنافى مع
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ومحاولة الأخذ بالأسباب لإزالة المصائب.
كما أن الإنسان يدفع جوعه بالأكل ويدفع كذلك البرد باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع
به مكروه كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لما سألوه عن الدواء فقال : وهي من قدر الله
أي أن الأخذ بالأسباب هي من قدر الله .

ومن أهم ما جاء هذا الكتاب أن ابن تيمية يرد على من يحصر العبادة في بعض
أجزائها فيريد أن يعرف الحدود الذين جعلوا العبادة هي مجرد القرآن والصوم
والزكاة ، والحج فقط فقال لا من أطاع الله ورسوله وشرعه الله ورسوله من الدين فهو كذلك
تفرع عنها ثم الذين يبدعون لبعض منهم أنهم يتعبدون الله بما لم يشرع الله فمثال أن الله
حيث الشقة يتعبدوا بالصمت ويتعبدوا بأن يجلس أحدهم في الحر وأن لا يتكلم وأنه يجوع
نفسه بغير صوم والطلوع ما شرعه الله فلم يجون من الله فضل [illegible] إلى الناس
ومثل مسألة الشرع والصعق عند تلاوة القرآن والاستماع إليه ، كذلك لما صوروا
الصالحين جعلوا أولياء الله فقط هم الذين قاموا بتلك العبادات وجعلوا شرائعهم

وعد الله تبارك وتعالى وأثنى على ما عملوا من أعمال في بعض المواطن كالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفع المظالم ونصرة المستضعفين، الجهاد في سبيل الله
فإن الله يثني ويعلي هؤلاء وتعالى كل ذلك من العبادة = الأخذ بالأسباب من
الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العبادة بل هو من أعظم ما يميز أهل الإسلام
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وكذلك الله أثنى
الله عليه في الحديث - لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله -
هؤلاء عطلوا شعائر الجهاد وكانوا سببًا رئيسيًا في دخول الكفار بلاد المسلمين، فهؤلاء
ليسوا فقط قاعدين عن الجهاد والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل هم كذلك
يشوهون الناس ويخذلونهم ويقولون لهم لا تقاوموا مصائب الله إلا بالاستغفار والتوبة
لا تقاوموا هذه المصائب بالسلاح لكن عليكم بالتوبة والاستكانة، وهذه معاني باطلة وإنما
تقاوم البلايا بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح وإصلاح النفس ومع ذلك بالأسباب
المباشرة - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وآخرين من دونهم - فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالأخذ بالأسباب وأمر أفضل عباده وهم
الأنبياء بالأخذ بالأسباب.

ابن تيمية رحمه الله تكلم عن نقاط رد بها مسألة شهود القدر وما له علاقة بالقضاء و
منها أ) أهل القرآن الذين يقرؤوا القرآن ويتلوا آياته، أولاً يؤمنون بكتاب
الله وبما فيه وبقدر الله ثانياً الناس يفعلون الأمر والنهي ويستقيمون عليه والمحافظة
على شرع الله مع الإقرار بقدر الله بين الشرع والقدر ثالثاً: من جملة ما رواه

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله: رابعاً: الأخذ بالأسباب لأن الأسباب
من قدر الله.

تكلم الإمام ابن تيمية رحمه الله عن حال هؤلاء الصوفية الغلاة في مسألة شهود الحقيقة الكونية: فهؤلاء زعموا أن كل ما شاءه الله فهو يحبه وأن الحسنات تستوي بالسيئات وهذا هو تحقيق العبودية لله فهؤلاء على ضلال وهم يحتجون بقدر الله أو لا يؤمنون بالقدر فإنهم من أتباع المشركين فهؤلاء على درجات في الضلال غلاة هؤلاء يحتجون بذلك مطلقاً أي أنهم يحتجون بالقدر في كل ما يخالفون به الشريعة.
فكل الملاحدة يخالفون بها الشريعة فيقولون هذا شيء قدر علينا فليس لنا فعل أو هذا أمر يحبه الله لذلك شاءه وخلقه. قال ابن تيمية: إن قول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وقالوا (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) احتجوا بالقدر السابق على كفرهم.

فائدة: أقوال الأئمة ينبغي أن تحمل على محملها فابن تيمية لم يقل أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى وإنما قال إن هذه المقالة شر من قول اليهود والنصارى فهو يتكلم هنا من جهة المقارنة فبين أن هؤلاء في هذا الباب أخس من اليهود والنصارى.
فلا ينبغي التعميم.

القدرية: هو لفظ يطلق على كل من أخطأ في باب القدر لكن يخص الذين نفوا علم الله أو كتابة الله أو مشيئة الله أو خلق الله لأفعال العباد كالمعتزلة أو من قال بقولهم.

ابن تيمية يقصد هنا بهؤلاء الضلال هؤلاء الذين احتجوا بالقدر على أفعالهم السيئة فقال لهم

بالعقل فقال الإمام إن كل من احتج بالقدر فإنه متناقض، فمقتضى الاحتجاج بالقدر أن الإنسان

مجبر على فعله، والإنسان لا يملك فعله فبالتالي لا يلام على معصيته من السرقة ولا يلام

على المحرمات التي فعلها فإنه لو جاء هذا الذي يحتج بالقدر لا يحتمل هذا إن اعترض كل أحد

على ظلمه وما يفعل كالسرقة والقتل والاغتصاب أو شخص ما ظلم شخصا فإنه

الإمام ابن تيمية فسر المسألة وهذا من أجمل معاني الإمام ابن تيمية فإنه لم يقل

إنه تطرق في المسألة الذي لم يتطرق لها قول ما قبله! فيقول الإمام ابن تيمية لابد

لهذا الشخص الذي يحتج بالقدر أن يقر أفعال الظالمين فيتبين ظلم الناس ويسعى في

الأرض بالفساد ولا أحد يستطيع الدفاع وسفك الفروج وهذا ما حكاه الإمام ابن تيمية

وينبغي عليه إذا أراد إنكار هذا أن يتبين أنه يحتج من لا دليل له لأنه غير مستقيم.

- لذلك الدليل من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ليبين له مكانة القرآن قال (أولم يكفهم

أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) وقال كذلك في سورة الفرقان (ولا يأتونك بمثل إلا

جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)

ابن تيمية يبين أن كل من احتج بالقدر على المعاصي التي قام بها فهذا الشخص يجب

عليه أن يوافق كل أفعال الناس من سرقته أو سبقه ومن أصابه أو أخذ ماله أو غير

ذلك. والأفضل أصل قوله. فيه ابن تيمية أن الأصل لمن احتج بالقدر ليس أهم

من الوحي والشريعة والعقل أو - لأن ابن تيمية يتكلم ما بين أن [illegible] لا يخالفهم لو كان

لقوي تعارض الشريعة والعقل ما فهموا منها مثل الخوارج ولكن العقل ما يعارض الوحي

ومنهم من يقول لم يقدر على المعاصي والشرك وإنما هو المنع أصلاً، فهؤلاء القدرية المجوس حقاً، ومنهم

بعض العلماء: إنه عنده الطاعة مقدرة وليس المعصية مقدرة، أي ليست مرادة له، فهؤلاء هم الذين

تجد ما كتب به: أي عنده ما يفعل شيء جليل ينقص أن تكون مجبورة وتقيس والحكم

ولم يشأه، ولكن ما تفعل المعصية تتقول إن الله جبر وإن الله خلق فعل العاصي وشاءه

ثم بين الإمام ابن تيمية الصنف الثالث ممن خاضوا في القدر وشبهتهم. أي الضالين

من قال إنه شهود القدر. وهؤلاء يدعون أنهم أهل الحقيقة الذين يشهدون الحقيقة

ويدعون أنهم هم الذين حققوا هذه المعرفة، ويزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن

يشهد لنفسه أفعالاً وأثبت لنفسه صفات. ويقولون إن الأمر والنهي لازم

لذلك الذي لم ير أنه يفعل شيئاً أو أن له صفات، أما من شهد أن أفعاله مخلوقة

أو أنه مجبور على ذلك وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات فهذا

الشخص يرتفع عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد. فخلاصة قولهم أنهم يقولون إن

من رأى أن أفعاله مخلوقة لله وبمشيئة الله وبقدرة الله، أي أنه مجبور وبالتالي

ليس مكلفاً وبالتالي ليس مثاباً أو معاقباً؟ فيقولون إن من شهد قدر الله سقط عنه

الأمر والنهي، فتلك الأمور والنهي يلزم المساكين الذين يظنون أن لهم أفعالاً ولهم صفات

وأن لهم إرادة واختياراً، وغلاة الصوفية كثيراً ما يستدلون بالمحضر كلمة الإسلام

من كثير مما يقولونه. وأصل الغلط عند هؤلاء أنهم ظنوا أن "الإرادة هي المحبة"

أي كل ما شاءه الله فهو يحبه، لأن الله قد شاء ما لا يحب وقد يحب ما لا يشاء.

ابن تيمية يريد أن يقول إن هؤلاء يدعون أنهم فرقوا بين العامة والخاصة

العامة هم الذين يرون أنهم مكلفون بالأمر والنهي أما الخاصة فهم درجات

منهم الذين يؤمنون بمسألة القدر ويردون القدر بمعنى أنهم يرون أن العباد ليس

لهم إرادة ولا قدرة ولا اختيار وأن العبد مجبر على فعله هؤلاء صنف وكذلك هناك

صنف رأى ذلك وشاهده فهم يقولون الذي فقط يعتقد هذه الاعتقادات دون

أن يصل ويحصل فهذا لم تسقط عنه التكاليف أما الذي يرى ويشاهد هذه الأمور

ويرى أنه مجبر على أفعاله فبالتالي يفعل ما يحلو له هذا تسقط عنه التكاليف ولا يرى أن نفسه

فعلت أصلاً أي يرى أن أفعاله هي أفعال الله وأنه مجبر عليها.

فائدة: سيشير الإمام ابن تيمية رحمه الله في رد الباطل إلى أن هناك أساس الذي ينبني عليه

تبين الضلال أنه سبب ضلال هؤلاء والخطأ ونقيضهم القائلين من المعتزلة.

هو عدم الجمع بين الشرع والقدر وهذا أنه يجمع بين قدر الله السابق أي الله علم وكتب

وشاء وخلق أفعالنا قبل أن يخلقنا وبين أن الله كلفنا بأوامر وجعل لنا من كلم السابق

أنه يكلفنا فالمعتقد بهذه الأمور فالله علم أهل الجنة وأهل النار فهؤلاء لم يستطيعوا

هذا الجمع أي كيف يكون الله علم وكتب وشاء وخلق أفعالنا ثم بعد ذلك يكلفنا

وكان سببا في أنهم لم يستطيعوا الجمع بين الشرع والقدر والجمع هذا يسير على المسلم بإذن

الله وهو أن الله سبحانه يسر العبد الإيمان وأنه يصيبه بالله وخلقه قادرا أي أنه

مختار أي أخذ القدر الاستطاعة بالعلم أو القدرة أي أنه مختار وغير مجبور

ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (ما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم

يشعرون) (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (فاتقوا الله ما استطعتم) (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها).

هذا الباب، أي الجمع بين الشرع والقدر، ضل فيه طائفتان: الطائفة الأولى المعتزلة قالوا لا يمكن أن يكون الله خالق فعل العبد ثم بعد ذلك يعاقبه على كسبه فعظموا الأمر والنهي فبالغوا في نفوا قدر الله السابق ثم بعد ذلك دخل بعضهم من نفى علم الله وكتابته وهؤلاء كانوا هم القدرية الأوائل وكفرهم الصحابة الذين كانوا في عهدهم وكفرهم أئمة السنة. والفئة الثانية وهم المتأخرون منهم وهم الذين نفوا مشيئة الله وخلقه لأفعال العباد فهؤلاء القدرية من المعتزلة ومن قال بقولهم. ويقابلهم تماماً غلاة الصوفية فقالوا إن الله على كل شيء قدير والله خالق كل شيء وعلم أفعال العباد إذاً العباد مجبورون فالعبد كالريشة ليس له فعل فهؤلاء أثبتوا القدر لكنهم نفوا الأمر والنهي. فهؤلاء جميعاً سبب ضلالهم عدم الجمع بين الشرع والقدر. الصوفية عظموا القدر وأضاعوا الأمر والنهي والمعتزلة (القدرية) عظموا الأمر والنهي وأضاعوا القدر. وهكذا كل من غلا في طرف لا بد أن يفرط في الطرف الآخر.

يرى الإمام ابن تيمية أن نقول أن الباطل درجات فهؤلاء جميعاً ضلوا في باب القدر لكن الضالين في باب القدر على طبقات الذين عظموا الأمر والنهي وضلوا في القدر فنفوه لا شك أنهم أقل ضرراً وأقل ضلالة ممن

لصفة الأمور إليها الرجل وسووا بين المؤمن والكافر في الإسناد بالكفار وأهل الضلال
ولم يكن أحد من سلفنا أحد يقول بهذا القول المنكر، ولكن وجدت كثيراً من العلماء من يتبنى
المعتزلة تعدد من رواه البصرة إلا كثيراً ما يقولون بهذا القول وكذلك ظاهرهم ليس
مبنياً على أصول المعتزلة ولكن كان عندهم شبهة في مسألة القدر

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول هذه المقالة كفر وهذا المعتقد يريد أن يصل
إلى مرحلة سقوط عنه مبدأ التشريع والتكليف والأمر والنهي فإن هذا القول كفر صريح
ولكن ابن تيمية يبين أن بعض الناس قد يقعون في الكفر جهلاً أو تقليداً ولهذا يقول
" وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر " إذاً لابد أن نفرق بين المقالة
والقائل؟ فإذا قال إنسان مقالة ينبغي أن نفرق بين حكم المقالة وحكم قائلها فالمقالة
قد تكون فسقاً وقد تكون بدعة وقد تكون كفراً إذا قال مقالة كفرية أو فعل فعلاً
كفرياً فقبل أن نحكم عليه بالكفر يجب أن ننظر في الأسباب أي تتحقق الشروط وتنتفي
الموانع. الأسباب التي حكم الشرع بأنها كفر والشروط التي اشترطها الشرع في التكليف
كالعلم والقصد. فلا تلازم بين الحكم على القول والحكم على القائل من حيث أن يكون جاهلاً
أو متأولاً أو مخطئاً. فالإنسان قد يقول قولاً خطأ من شدة الفرح مثلاً الذي
قال اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح هذا القول كفر ولكن الفاعل
أخطأ بقصد الخطأ فلا يترتب حكم الكفر عليه.
يريد الإمام ابن تيمية أن يقول أن قول هؤلاء كفر ولكن بعضهم يقع فيه جهلاً أو تقليداً
أو جهلاً فيجب قبل أن نحكم عليه بالكفر يجب أن نعرفه وأن نبين له ذلك قبل الحكم عليه

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: أما التكفير فمن يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويجهل كونها مخالفة للشريعة أو لا يعرفها فمن خالف الشريعة ولا يعرفها فالذين قالوا تلك الأقوال كما ابن تيمية عليه عقيدة لا عذر بالجهل والخطأ مثل تلك المقالات بل أعظم من ذلك ابن تيمية يرى أن من جهل آية من القرآن عليه أنه يعذر بجهله ثم يبين له هذا الجهل وتقام عليه الحجة.

يريد الإمام ابن تيمية أنه يقول عند تكفيره لأي مقالة ينبغي أن نتطلع من القول وأن نجعله الميزان وأن نجعله الحكم والفيصل والحد ثم ننظر إلى هذه المقالات من جهات الألفاظ والمعاني والنيات والمقاصد ونفهم دلالات هذه الألفاظ عندهم والمعاني التي أرادوها فإن وجدناها كفرا فينبغي ألا نتعجل بالحكم على هؤلاء بالكفر وأن نكون ممن أقام عليهم الحجة وأن نكون سببا في هدايتهم وأن نكون رحماء بهم وألا نتعجل في الحكم عليهم بمقتضى هذه المقالة.

يقول الإمام ابن تيمية إن بعض هؤلاء يقول إن هذا هو مراد الأنبياء؟ مثل شخص يقول أنا لا تجب علي الصلاة لأني مستغني عنها من قبل من يقول إن الخمر له حلال لأنه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر، أو أن الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو ذلك.

اعتذار المشركين فهو لا يجعل لهم معناه أنه يريد منهم أن يستمروا على جهلهم ليعذروا) فلهذا فإن قول الإمام ابن تيمية أن هذه الأسباب المانعة من الحكم ليس المراد بقاؤها ولكن المراد إزالتها ولكنها مع ذلك هي تنفعنا من باب عذر الناس ولكن الواجب أن نسعى في تعليمهم وإلا لترك الله سبحانه وتعالى الأقوام الذين ترسل فيهم على معذرتهم.

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول إن المشركين إنما هم يعبدون غير الله أو يعبدون الله بالبدعة مثل الأنعام (السائبة والبحيرة والوصيلة والحام) فعلوا وكانوا يحرمون بعض الأشياء التي لم يحرمها الله أو أنهم احتجوا بالقدر أي عندهم ثلاث أنواع الشرك، والابتداع في الدين والاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله. كما قال الله تعالى عن المشركين (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) وكما قال تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وذكر عن المشركين ما ابتدعوه في الدين تحليل الحرام وعبادة الله بما لم يشرع (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه)

فائدة سورة الأنعام = الفكرة المركزية في هذه السورة هي بيان أن المشركين أما أنهم عبدوا غير الله أو عبدوا الله بما لم يشرعه الله. كذلك جاء شطر منها في سورة الأعراف في مطلع هذه السورة.

(فائدة): العبادة مبنية على أصلين = أن لا نعبد إلا الله وألا نعبده إلا بما شرع.

فكرة الكشف عند الصوفية:

أن الصوفي الذي وصل إلى مسألة شهود القدر = أي شهد قدرة الله وعلم الله
ومشيئته لأفعال العباد - هذا تسقط عنه التكاليف ويكشف له الحجاب فبالتالي
هو ليس ملزمًا بشرع نبي فهو مثل الخضر الذي خرج عن شريعة موسى فهو في
هذا لزعمهم أنه وجد الكشف.

يريد الإمام ابن تيمية أن يبين مصادر المعرفة عند هؤلاء أي من أين يأخذون دينهم
وما هو المصدر الذي يحكم بيننا ويفصل بيننا فيذكر أربع مقالات:

مقالة أهل السنة: كل من أثبت الوحي مطلقًا مصدرًا وحكمًا وفصلًا فهؤلاء هم أهل القرآن
المتكلمون: الذين قالوا أن العقل هو الأصل في المعرفة ثم يستشهدون من الوحي
ما يوافقهم مقالاتهم هذه

الفلاسفة الإسلاميون: مثل الفارابي، الكندي، ابن سينا، ابن رشد فهؤلاء يجعلون منطق
أرسطو هو الأصل ثم يؤولون القرآن والسنة ليوافق آراء أرسطو.

غلاة الصوفية: هم الذين يجعلون الكشف هو طريق المعرفة وكل واحد منهم يدعي كشفًا
يحكم على بدعته بدعية. المتكلمون عندهم القانون الكلي: إذا تعارض العقل والنقل
قدمنا العقل لأنه أساس معرفة النقل، الصوفية اتهموا العلماء بكفر لأنه لم
يكشف له بالإرادة شهد القدر فهو مثله بأنه يتبع موسى عليه السلام

- الفلاسفة الإسلاميون كذلك يجعلون النبوة تخييل أي الأنبياء

موافقاً لما ينفع العامة؟ أما الجهة الثانية فليس من ذلك ولا مما يجوز هذه الأمور الثلاثة
فابن تيمية هنا يحاول كثيراً يبين أن الأقوال الضالة تخرج من مشكاة واحدة
معتبراً مقالتان ذكرهما ابن تيمية: مقالة المتكلمين الذين جعلوا العقل هو الأصل
ولم يرجعوا إلى الوحي إلا من باب تحريف معناه أو من محاولة الاستدلال به على مذهبهم
أو الصوفية الذين جعلوا الكشف مصدر تلقيهم في المعرفة

ابن تيمية يريد أن يقول المتكلمون أو الصوفية الذين أعرضوا عن الوحي وجعلوا العقل
أو الكشف هو المنطلق في البحث والمرجعية للمعارف ومن ذلك هؤلاء لم يأتوا إلى
نصوص الوحي إما أنهم يحرفوا دلالته حتى لا تعارض مذهبهم أو يحرفوا دلالته حتى يوافقهم
أو الذين جهلوا معنى الكلمة أو مفوضون يفوضون معناه أي لا نفهم معناه مع اعتقادهم بنقص
مدلوله من المفوضة فعندهم أنهم لا يعلمون ثم يقولون ~~ما يقولون~~ من المفوضين بأنهم
[illegible] تماماً.

فائدة: كل من لم يعتبر الوحي مرجعاً في المعرفة فإنه غاية ما يريده من الوحي أنه لا يكون
شاهداً عليه، ولا يشتغل بأنه يكون شاهداً له. أي كل من لم يعتبر الوحي مرجعاً في المعرفة
لا يشغله أنه يستدل من الوحي على مقالاته، وإنما يشغله أنه لا يكون الوحي معارضاً
لمقالاته. = أي أنهم فقط يريدون تحييد الوحي. وهذا موجود إلى الآن في الطائفة
العلمانية الذين نقلوا إلى بلاد الإسلام العلمانية الغربية يريدون أنهم تطعيم الإسلام
بالعلمانية بعد، فإنهم يريدون أن لا يكون معارضاً لها.

مستقل ابن تيمية فكرة (إنما ذمهم لأن العقل الذي يكون عقلا ويسمى في جيليات ويسمى أن لا
علمه أن يتبعا له العقل مع الوحي وكذلك غلاة المتصوفة إذا كشفوا وهم سمى أنه
هو لا إن عرضوا عن الوحي ، فالأصل الجامع لضلال هؤلاء هو لا إعراضهم عن الوحي

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول نحن لو تركنا باب الدين إلى العقل والذوق دون ذلك
فهذا في الدين يجعل كل إنسان يتبع هواه كذلك قال الله تعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم
لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم) وقال تعالى (إن يتبعون إلا
الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) اتباع الظن في الأخبار وما تهوى الأنفس
في العمل والله سبحانه وتعالى تمت كلمته صدقا وعدلا صدقا في الأخبار وعدلا
في الأحكام فقال من جهل الوحي هو الظن ولا سيما في باب الأخبار وباب المعرفة
وجهل الوحي في تشريع الوحي هو الأساس في باب العمل فإنه الهدى وأما سوى
ذلك فقد اتبع هواه واتبع الظن .

ابن تيمية رحمه الله لا يريد أن يضلل أهل المعرفة عند هؤلاء فهم يقولون الوجد والذوق
فقال لهم نعم المؤمن له فرحة وله سكينة واطمئنان وله حلاوة في الإيمان ولكن
مثل هذه الحلاوة إنما تكون بقدر اتباعه وليس بقدر البدعة فذكر الحديث
الذي فيه أن الإنسان يجد حلاوة الإيمان ، كذلك قال الله (قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا) (فأنزل الله سكينته عليه) كذلك قال (تقشعر منه جلودهم)

الذين تجد أحدهم يحب هذا أن المؤمن كذلك له حلاوة وله ذوق وله وجد وله سكينة [illegible] ولكن مصدر هذه السكينة هو القرآن والوحي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا) وأيضا في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)

فصل الأقسام الذين ما يناقض الدين ثلاثة أصول: كفر، بدعة، شهوة فالكفر هو ترك الدين والإعراض عنه، والبدع هو الابتداع في الدين المحدثات، والشهوات هي المعاصي؟ الذين هم يريدون [illegible] هؤلاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا يطلب [illegible] ولا يكره أنهم [illegible] ذلك [illegible] الشريعة [illegible] أفعالا لا تحقق أصل الإيمان كما [illegible] [illegible]! فالمحبة التي [illegible] الذين [illegible] الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؟ [illegible] [illegible] [illegible] في أمرهم إما أنهم [illegible] بدعة في الدين [illegible] إلى الدين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أو أنهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالقدر الكوني وأن الله خلق أفعالهم [illegible] بذلك [illegible] التكاليف.

④ الطائفة الثالثة من الغالطين في شهود القدر:

يعترفون بالفرائض المشهورة ظاهرا وباطنا على الحقيقة، والعلماء يجتنبون المحرمات
المشهورة مثل اجتناب الزنا وشهادة الزور ونحو ذلك؛ لكن اختاروا سبيلهم
من الدين ما ناسب هواهم وهذا ضلال وعندهم ضلال آخر وهو أنهم لما أقروا
به من الأسباب التي هي عبادة أي يتركون الأخذ بالأسباب وهذا ضعف ونقص شديد
في العبودية بل فيه كثير منهم ينسبونه إلى أهل السنة يتركون دفع الظلم ويتركون
نصرة المستضعفين ويتركون الأخذ بالأسباب في أمور يشترون بها لهم وينسبون
ذلك إلى الدين.

فائدة: لفظ العارف: هو لفظ مخترع عند الذين اخترعوه وانتشر بينهم
واللفظ الشرعي هو العالم أو العابد. الألفاظ في الكتاب والسنة: العابدون، الحامدون،
الراكعون، الساجدون) الألفاظ شرعية ذكرها الشارع.

وهم يقولون أن العارف يشهد قدرة الله ومشيئته السابقة وأن الله بكل شيء عليم
وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه خالق كل شيء فأعرض عن الأخذ بالأسباب
التي أمر بها الله مثل التوكل منهم والدعاء منهم ونحو ذلك من مقامات العامة
دون الخاصة. وهذا ضلال مبين، فالدعاء والتوكل سبب يجلب به الخير.
والرد عليهم هنا من جهتين: أولاً: بيان أن الأخذ بالأسباب عبادة
والأمر الثاني: نفي كونها من مقامات العامة. وهذا ضلال

يريد الإمام ابن عثيمين أن يقول: نعم إن الله له قدر سابق ونؤمن به لكن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء بأسبابها، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم أن الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل أي إذا كان الله قدر كل شيء سابقاً إذاً نترك العمل ونتكل على الكتاب فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة فقد أمر الله بالعمل وبالأخذ بالأسباب مع عبادته والتوكل مقرون بالعبادة كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) وقوله (قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) وقول شعيب عليه السلام (عليه توكلت وإليه أنيب) ولذلك قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

- الطائفة الرابعة من الضالين في مسألة وجود القدر -

فائدة: في باب القدر الله سبحانه وتعالى يحاسبنا على ما عملنا ولا يحاسبنا على مجرد علمه بما سنعمل. فالله سبحانه وتعالى لم يحاسب إبليس إلا على ما عمله هو (ووجدوا ما عملوا حاضراً) فالله سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً فالإنسان لا يحاسب على مجرد علم الله به وإنما يحاسب على ما عمله.

وهنا طائفة ضلوا لا في أسباب الأمر والنهي ولكن ضلوا في أسباب الإدراك والوصول في معنى الولاية فيظنون أنه من حققت له الصلاة فهو ولي لله

وهذا ضلال، فمناط الولاية هو الإيمان والتقوى، قال الله تعالى

قال تعالى (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون) وقال الله سبحانه وتعالى
(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)

فمناط الولاية هو الإيمان والتقوى فكل مؤمن تقي من أهل الصلاح والتقوى وغالبهم أن
الخوارق في كرامات الأولياء مخطئون لأن هذا هو مناط الولاية وهذا خطأ
لأن من الكفار من يفعلون ما لا يقدر عليه من الناس مثلا المسيح الدجال له قدرة
يحيي هذا ويميت هذا فهذه القدرة ليست دليلا على ولايته والعكس فيمكن
أن يكون الإنسان صالحا ولا تجري له الخارقة فهي قد تكون كرامة للإنسان الصالح
كما في قصة أصحاب الكهف وقصة الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار فدعا كل
واحد منهم بصالح عمله ولكن أن يكون ذلك هو مناط الولاية فمن لم تجر له
الخوارق فليس بولي وأن كل من جرت له الخارقة فهو ولي فهذا خطأ وباطل.
فهؤلاء يتشوفون لهذه الكرامات والخوارق ولا شك عندي أن من الخوارق
ما هو فتنة على الإنسان لو أن الله من عليه بكرامة أن يفتنه أم يشكره ويعبده
لذا ينشغل الإنسان بالخوارق.

من أهم الأمور التي ينبغي أن نقول إن العبد العظيم هو الذي يكون عبدا لله كما كان
وحقق ما شرع الله وأن يعمل بما في كتاب الله وهدي النبي صلى الله عليه وسلم
علما وعملا فعند ذلك يكون وليا لله تبارك وتعالى.

(الدرس السادس) ١٩٠

قال الإمام ابن تيمية ((والصالحة والطاعة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان: أحدهما أن لا يعبد إلا الله، والثاني أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع)) نلاحظ هنا أن الإمام ابن تيمية يتكلم عن الألفاظ الشرعية التي جاءت في الوحي وهذا هو الصحيح: وهو أن نعبر عن المعاني الشرعية بالألفاظ الشرعية لا وخير ما يعبر به عن المعاني الشرعية هو نفس الألفاظ الشرعية.

فائدة: وجوب اتباع ألفاظ الوحي فيما نعبر به عن معاني الوحي.

فهنا بين أن المعنى الواحد يمكن أن يعبر عنه بأكثر من لفظ شرعي كالعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم كلها ألفاظ تأتي بمعنى واحد.

فهذا أحد مقاصد كتاب الإمام ابن تيمية عموما ولهذا مر باب العبادة ذكر أكثر من لفظ وهو أن لا يعبد إلا الله ولا يعبد إلا بما شرع.

فائدة: العمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنة فإنها وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل ليست مشروعة، فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح.

مقصد الإمام أنه ليس كل ما يروى من الأخبار في باب العبادة وغيرها يكون صحيحاً فشرط صحة أي نص يستدل به أن يكون صحيحاً [illegible] وأن يكون ثابتاً وأن يكون صحيحاً من جهة الدلالة. أي أنه يكون الدليل واضحاً على المسألة التي استنبطت منه.

مقصد الإمام ابن تيمية رحمه الله بقول الله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وقوله (أسلم وجهه لله) مقصده أن معناه هو إخلاص العبادة لله وحده، وكان الإمام عمر بن الخطاب يقول (اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً.

ومقصد استدلال الإمام ابن تيمية بمقالة أحد أئمة العبادة الذين تعتبر العبودية عليهم وهو الفضيل بن عياض وذكر قولاً جميلاً له وهذا يدل على إنصاف الإمام ابن تيمية أنه يستفيد الحق أين ما كان. وذكر قولاً مشهوراً له في قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال الفضيل: أخلصه وأصوبه. أي أنه يكون العمل خالصاً صواباً أي أنه يكون لله وأنه يكون على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول: إذا كان كل ما يحبه الله يدخل في اسم العبادة فلماذا العطف على العبادة غيرها كقول الله تعالى (فاعبده وتوكل عليه) وأن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) (إياك نعبد وإياك نستعين) لأن باب العطف يقتضي عدم المطابقة وبعض الناس يقولون العطف يقتضي المغايرة ولا يصح هذا لأن العطف يقتضي عدم المطابقة، أي لابد ألا يتطابق المعطوف والمعطوف عليه.

تابع

يستدل الإمام ابن تيمية رحمه الله على هذا العطف بنظائر وهذا من فقه الإمام ابن تيمية يذكر القاعدة ثم يذكر لذلك المثال أو يُرجعه إلى القاعدة أي يجعل الشواهد التي تنطق بالقاعدة: فقال الإمام ابن تيمية يمكن أن تعطف عليه بعض أجزاءه.

ويمكن أن تعطف الشيء على نفسه لاختلاف المعنى مثل قوله (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) فكل هذه الأسماء دلالة واحدة بالذات لكن المعنى ليس متطابقاً.

وهذا في لسان العرب معروف وهو أن تعطف على الشيء جزء منه وهو هذا العطف ما يسمى بباب عطف الخاص على العام أو عطف العام على الخاص لأنه إذا ذكر هذا الشيء فإنه لا يكون خاصة العام الذي يشمله.

فهذا أصل معروف في لسان العرب ومعروف في الشريعة أن تعطف الجزء على الكل كما في قوله (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فالفحشاء من المنكر وكذلك قوله (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) وإيتاء ذي القربى هو من العدل والإحسان كما أن الفحشاء والبغي من المنكر وكذلك قوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) وإقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب وأمثال ذلك في القرآن كثير.

وأيضاً كما في قول القائل (واحد ولا شريك له) فعدم الشريك [illegible] هو من الأحد وأيضاً تكفي [illegible] هنا الإمام ابن تيمية على هذه الجزئية بالتقرير معنى كل النصوص التي أفردت فيها عطفاً أجزاء العبادة أو عطف ما هو من العمل الصالح وعطف على لفظ العبادة إنما أريد بالتخصيص أي تخصيص بالذكر هذا [illegible]

هذا الفرد من أفراد العام، فيريد الإمام ابن تيمية أن يقول إن هذا من الصور

عليه أن تكون بسبب أن هذا الذي خص بالذكر مطلوب بالمعنى العام والمعنى الخاص

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله أيضاً «ومن ذلك تنوع دلالة الاسم بحال

الانفراد والاقتران فكما إذا أفرد عم وإذا اقترن بغيره خص» أي إذا اجتمعا

افترقا وإذا افترقا اجتمعا، مثل لفظ الإيمان والإسلام: إذا جاء لفظ الإيمان

فليس معه الإسلام فيدخل فيه الإسلام وكذلك الإيمان لكن إذا اجتمعا فلكل منهما معنى

فلا يكونا مترادفين، وأيضاً كلفظ الفقراء والمساكين قال تعالى (للفقراء الذين

أحصروا في سبيل الله) وقوله (إطعام عشرة مساكين) هنا لفظ الفقراء دخل فيه المساكين

وكذلك المساكين، وفي موضع آخر قوله (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) جمعهما

هذه الآية ليسا مترادفين.

فابن تيمية رحمه الله يريد أن يقول هذه الصورة من أسبابها أن الذي خص

بالذكر مع كونه يدخل في الاسم العام من باب التخصيص مثل (فاعبده وتوكل عليه)

(إياك نعبد وإياك نستعين) ومن صور ذلك أيضاً مسألة الانفراد والاقتران

أن هناك ألفاظ إذا افترقت اجتمعت وإذا اجتمعت افترقت لا تستقيم دلالتها وفي هذه

الحالة لا يكون الخاص داخلاً في اللفظ العام

قال تعالى (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وقال تعالى (وإذ أخذنا

من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وعيسى ابن مريم) فالملائكة هنا

يدخل فيهم جبريل وميكال ومع ذلك خصا بالذكر وكذلك وإذ أخذنا

من النبيين ميثاقهم وهم كبار الأنبياء الكرام بعد نبينا النبي صلى الله عليه وسلم
ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام قال الإمام ابن كثير هنا إنه ذكر
وخاصة بعد العام كانت ذكر مرتين: المرة الأولى في العموم لأنه باللفظ يشمله والمرة
الثانية خص بالذكر لفائدة بدل قليل السياق كذلك من كان عدوا لله وملائكته
لأنه الكثير العداوة كانت لجبريل وميكال خصصا بالذكر هنا أيضاً كذلك أخذنا من
النبيين ميثاقهم مثل الأنبياء أخذ الله منهم ميثاقهم لكن ذكر هؤلاء الأنبياء
الذين ابتلوا وصبروا وتحملوا وهم أولو العزم فهؤلاء كبار أهل العلم خصوا بالذكر
لأنه كانوا يدخلون جميعاً في لفظ النبيين

وعطف الخاص على العام يكون لأسباب متعددة: تارة للقوة [illegible] خاص النبي
لأفراد العام كما نوح وإبراهيم وموسى وعيسى) وتارة لكون العام فيه أفراد قد لا يفهم
منه العموم كما في قوله (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) فالذين يؤمنون
يؤمنون بالغيب الغيب يدخل فيه الإيمان بكل ما ذكر بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
فيقول الإمام ابن السعدي قوله الذين يؤمنون بالغيب قد لا يخطر على باله أحد أفراد
هذا الغيب وهو الكتب السابقة التي أنزلت على النبيين من قبل النبي صلى الله
عليه وسلم فلذلك خصت بالذكر. ومن هذا الباب قوله (اتل ما أوحي إليك
من الكتاب وأقم الصلاة) وقوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة)

وتلاوة الكتاب هي اتباعه والعمل به حتى تتلى القرآن يجب أن تقيم الصلاة لأن حقيقة
التلاوة لا تكون إلا بالعمل ولذا خص بالذكر الصلاة مع كون الصلاة داخلة
في تلاوة الكتاب هو التلاوة وهو إرادة التنبيه على هذا المراد الذي قد لا يفهم
أنه لا يدخل في العموم ومنه أيضا قوله (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم
الصلاة لذكري) وقوله (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) وقوله (اتقوا الله وابتغوا
إليه الوسيلة) وقوله (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه)

ومن أهم مسائل هذا الكتاب: هل العبودية هي أشرف مقام للعبد أم
فوقها شيء من المقامات وهذا أحد من سؤال المسائل في أول الكتاب لمسائل
الإمام عند ذلك، فبين الإمام بن تيمية أن العبادة تلزم العبد إلى أن يموت
ويرد بذلك على من يقول من بلغ القدر فإنه يسقط عنه التكليف لأنه وصل إلى
اليقين فابن تيمية رحمه الله بين أن مقام العبودية هو أشرف مقام للعبد وكلما ازداد
في العبودية ازداد تحقيقا للإسلام واستغفارا ازداد كماله وعلت درجته،
كما بين أن مناط الولاية هو الإيمان والتقوى، وكلما كان الإنسان مؤمنا تقيا
كان كان وليا لله ثم بين أن أولياء الله يوجدون في كل طائفة من الأمة: في أهل الحديث
والعلماء والزراع والصناع كل طائفة بحسب ما عندها من التقوى والإيمان فإذن
يكون لا يختص بها ولاية الله تبارك وتعالى.

ويبين الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ذكر أنه كان المعلوم من حقيقة عبودية الله
تبارك وتعالى ذكر أن العلماء علم الله تبارك وتعالى وأنهم وصفوا بالعبادة
فذكر الأنبياء وذكر الملائكة، فهذا يجيب به على سؤال السائل هل العبودية هي
أشرف مقام أم لا؟ من نصوص الكتاب: قال تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (إن كل من في السماوات
والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا) وقال تعالى عن المسيح (إن هو إلا
عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) وقال تعالى (وله من في السماوات والأرض
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وقال
تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه
أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى لبني إسرائيل (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة
فإياي فاعبدون) (وإياي فاتقون) وقال (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)
وقال تعالى (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين
قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم
من دونه) وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله كقول نوح
ومن بعده عليهم السلام في سورة الشعراء وغيرها (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)
وفي المسند عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (بعثت بالسيف
بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل
الذلة والصغار على من خالف أمري)

يتحدث عن أن عباده المخلصين هم الذين محفوظون من سلطات التزيين الشيطان

قال الشيطان (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين

وقال تعالى (هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين

وقال في حق يوسف (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)

يريد الإمام ابن تيمية من كل الآيات السابقة أن يبين معاني : أهمها أن أولياء الله

موصوفون بحقيقة العبادة والعبودية وابن تيمية أيضا قد يستعمل لفظ الخاصة والعامة

لكن ليس بالمناط الذي تستعمله الصوفية فإنهم يطلقون الخاصة على الذين يشهدون

القدر وبالتالي تسقط عنهم التكاليف ويطلقون العامة على الذين لم يشهدوا القدر

أو يعرفون شهود القدر لكن لا يعلمون أنه مناط القسمة كما هم بالفعل وما رتبوا على ذلك

أيضا باطل من سقوط التكليف عمن شهد القدر) أما ابن تيمية أحيانا يستعمل تلك

الألفاظ لكنه يربطها بالمعاني الشرعية فالخاصة عنده هم المقربون السابقون الذين

يتقربون بعد الفرض بالنوافل ولكن العامة ربما أن يعبد الله على حرف) فابن تيمية رحمه الله

أراد أن يبين أن هؤلاء الخاصة أولياء الله وسادة ولا يشترط الصوفية العبادة والاستقامة

على الله وذكر الملائكة وذكر الأنبياء الكرام . ثم بين بعد ذلك وظيفة أهم

وهي أن جميع الرسل إنما أرسلوا بدعوة الغاية أن لا نعبد إلا الله وأن لا نعبد الله إلا

بما شرع) ثم انتقل إلى مسألة أخرى أن عباد الله المخلصين إنما يعرفون منهم

كيد الشيطان بإخلاصهم على أمر الله) وأن الشيطان ليس له سلطان

على الصبر لفقد السعادة العيد

وكذلك أثنى على أنبيائه بالعبودية نعت كل من اصطفى من خلقه في قوله (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) وقوله (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب)

وقال عن سليمان (نعم العبد إنه أواب) وعن أيوب (نعم العبد) وقال عن نوح (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) وقال عن خاتم رسله (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)

فائدة المقارنة بين الغني الشاكر والفقير الصابر وكثيرا ما تذكر هذه المقارنة في كتب التزكية. وهذه المقارنة ليست دقيقة فليس هناك شخص ليس له نعم يجب أن يشكر الله بها والمقارنة كلها وليس هناك رجل منعم أعطى الله وكذلك بلاء يحتاج أن يصبر عليه أو يرضى. إلا أنه على العبد كثرة نعم وليس عنده ابتلاء والإنسان عنده شيء ليس عنده نعم تستحق الشكر. وهذه المقارنة لها من جهة العبد والعبودية الصبر والشكر لذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم هو الأكمل في هذا الباب حيث قال (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) هذا الحديث هو الحكم في هذا الباب.

فائدة (6) من شرح العبودية

في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، إن أعطي رضي وإن منع سخط) فسمى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكر ما هو دعاء وخبر، وهو قوله: «تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» والنقش إخراج الشوكة من الرجل، والمنقاش ما يخرج به الشوكة.

وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه إذا أعطي رضي، وإن منع سخط، كما قال تعالى: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله.

وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده، ولهذا يقال:

العبد حر ما قنع، والحر عبد ما طمع

وقال القائل: أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا.

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول إن المؤمن إنما يرضيه ما رضي الله، ويسخطه ما أسخط الله، فمتى تقرر هذا المعنى والفكر وتحققه فيه يكون عبد الله.

ويقال: الطمع غل في العنق، قيد في الرجل، فإذا زال الغل من العنق زال القيد من الرجل.

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: الطمع فقر واليأس غنى، وإن أحدكم إذا يئس من شيء استغنى عنه.

يريد ابن تيمية أن يبين هذا المعنى: أن العبد إذا تعلق قلبه بشيء كان عبدًا للمتعلق به، وعكسه أعرض منها أن يتعلق قلبه بها الشيء فيصبح عبدًا مقهورًا ذليلًا للعوائق ولكنه يتعلق قلبه ويفتقر على الأسباب التي تحصل بها هذا الشيء فقال الإمام ابن تيمية

"فالعبد لا بد له من رزق وهو محتاج إلى ذلك فإذا طلب رزقه من الله صار عبدًا لله فقيرًا إليه، وإذا طلبه من مخلوق صار عبدًا لذلك المخلوق فقيرًا إليه" ثم بين ابن تيمية هنا مفهوم العبودية: ~~...~~ معنى العبودية أوسع وأشمل من أن تقتصر على صلاة أو زكاة أو صيام أو حج وتعلق القلب والتوكل كذلك من العبادة قال ~~...~~ تعالى ((فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون))

(ذم مسألة الخلق) مهم

الأصل في سؤال المخلوق الكراهة أو الحرمة وهذا ابن تيمية هنا يبين ذلك حيث قال الإمام ابن تيمية رحمه الله "ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة في الأصل وإنما أبيحت للضرورة وفي النهي عنها أحاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد كقوله صلى الله عليه وسلم "لا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم" وقال "من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشًا أو خموشًا أو كدوحًا في وجهه" وقوله "لا تحل المسألة إلا لذي غرم مفظع أو دم موجع أو فقر مدقع" وهذا المعنى في الصحيح وفيه أيضًا ولأن

يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» وقال
«ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك»
فذكر أخذه من غير سؤال اللسان ولا استشراف القلب، وقال في الحديث الصحيح «ومن
يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا
وأوسع من الصبر» وأوصى خواص أصحابه ألا يسألوا الناس شيئا وفي المسند أن أبا
بكر كان يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد ناولني إياه، ويقول إن خليلي أمرني ألا أسأل
الناس شيئا. وفي صحيح مسلم وغيره عن عوف بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم بايعه مع
طائفة وأسر إليهم كلمة خفية: «أن لا تسألوا الناس شيئا» فكان بعض أولئك
النفر يسقط السوط من يد أحدهم ولا يقول لأحد ناولني إياه.

وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع كقوله
تعالى: (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) وقول النبي صلى الله عليه وسلم
«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» ومنه قول الخليل (فابتغوا عند الله
الرزق) ولم يقل فابتغوا الرزق عند الله. لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر.

فائدة تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر.

فائدة: الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل: الهجر الجميل هجر بلا أذى
والصفح الجميل صفح بلا معاتبة، والصبر الجميل صبر بلا شكوى إلى المخلوق
ومن دعاء موسى (اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك
المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك)

فائدة: البكاء يدل على رقة الإنسان أمام تقشعر جلده كل صغيرة للأمور ورد
وأن ينكر الإنسان واستكبر إنما البكاء ورد على حديث الخشية وأنكره الإمام
أحمد عليه وعافاه والقرآن والكلم فإنه لم يكلف بها كما «فهذا المعنى للخشية».
من الصعق والشهقة الذي عرض لبعض عباد التابعين وأنكره عليهم الصحابة الذين
كانوا مع هدى ورشد كما مثل وسنة أبي بكر وأنكره التابعين محمد بن سيرين وغيره فهذا غير
مشروع.

فائدة: يستفيد الإمام ابن تيمية أنه لا ينبغي أن يبني الحكم على حديث لم يعرف صحته
إنما لا يصح غيره وإنما أنه ذكرها استئناسا والشاهد على الأحكام التي صحت
سائر ما سأله ذم سؤال الخلق.

فائدة: كلما قوي العبد في عبادة الله رغبة ورجاء لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت
عبوديته له وحريته مما سواه. فباب العمل مبني على باب العلم. كذلك الإخلاص؛
إذا كان الإنسان يعلم أن ربه وحده يملك له الضر والنفع لا يلتفت إلى أحد سواه
لأنه لا يستطيع نفعه إلا الله، أما إذا اعتقد العبد أو نقص إيمان العبد بذلك
فظن أن غير الله يملك له ضرا أو نفعا فإنه سيتعلق قلبه بالمخلوق بقدر ذلك
وإنما يبنى العمل بالعلم. والإنسان يكون عبدا لله بقدر حريته مما سواه
ويكون عبدا لما سوى الله بقدر ما تقل عبوديته لله.

يريد الإمام ابن تيمية أنه يقول يجب أن يتوكل القلب على الله وأن يتعلق سائر
رجائه وطمعه بالله وأن كل من تعلق قلبه على غير الله فإنه قد صرف شيئا من العبودية
لغير الله. والله سبحانه وتعالى قال (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا)

كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا " وقال تعالى " وتوكل على الحي

الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا "

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول عليه أن يكون الإنسان متوكلا له عز وجل لله

في الواقع يكون عبدا لهم لأنه محتاج إليهم وهو في الظاهر أميرهم ومدبرهم ولكنه في

الواقع عبده لهم ومحتاج إليهم مفتقر إليهم فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر

وكان الإنسان لو تعلق قلبه بامرأة - التعلق الذي يخرج عن معنى الحب مثلا فإنه يصبح

من العبودية - وإن كان أمرا من أمر الله كالزوجة لا أو تفعل ما يحفظ الله ورسوله

ولو كانت مباحة له أي أمة يملكها أو امرأته فتعلق قلبه بها إلا تحكم فيه وتتصرف

بما تريد وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها ومالكها لكن في الحقيقة هو أسيرها ومملوكها

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل قلب الإنسان لا سلطان لأحد عليه من

البشر فالإنسان عليه أن يكره في الظاهر لذلك يكون كفر المكره إذا اطمأن بالكفر

أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان لأن الإكراه لا يملك أن يتسلط على القلب

لذلك عليه أن يكون الإنسان أسير سلطة قلبه حر. فيقول الإمام ابن تيمية

فبعض الناس يتعلق قلبه بالعلوم سواء كان يحب لغيره أو يحب التزود منه أو

يستمتع معه أو يطلب الهداية منه فقد خرج عن الحد وكونه مجرد سبب

فيتعلق قلبه فيما لا يملكه هذا الشخص فالعلم لكن التعلق يتعلق قلبه بأمراء

فهنا لو كانت مرجعه لهم فإنه إذا تجاوز الحد من هذا سيكون

عبداً أسيراً مملوكاً لأي من كان من مظاهر من مظاهر الدنيا

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول إن الحرية هي حرية القلب وإن العبودية هي عبودية القلب ومن حكمة الله أن الله تبارك وتعالى لم يجعل مملوكاً مملوكه لأحد من خلقه ولا سلطان لأحد من خلقه على قلبه ، لأن الغنى غنى النفس

قال النبي صلى الله عليه وسلم "ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس"

يبين الإمام ابن تيمية صنفاً من الناس يتعلق قلبه تعلقاً في مركزهم ومناصب أو بامرأة هي زوجته أو أمة مملوكة فهذا أشد عبودية لأن أشد من ذلك أن يتعلق قلبه بحرام أو بما لم يبح له زنا أم غيره كعشاق الصور - الصور المحرمة.

فهم أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً ، وهؤلاء ضيعوا كل أحوالهم فهؤلاء من حيوات فإن فعلوا هذا الأمر ، فهو محرم عليهم فيستحقون المعاقبة وإن لم يفعلوه صاروا مملوكين مقهورين محتاجين إلى هذا الذي تعلقت قلوبهم به وهم كالسكارى والمجانين بالأصل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في حين.

ومن أعظم أسباب هذا البلاء إعراض القلب عن الله وتعلق الإنسان قلبه بغير الله لفقر افتقاره إلى الله ، والإنسان يكثر الشكوى إلى الناس وإلى الخلق لقدر ضعف شكواه إلى الله ويفتقر إلى الناس لقدر افتقاره إلى الله.

قال الإمام ابن تيمية ((إن القلب إذا ذاق طعم عبودية الله والإخلاص له لم يكن
عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أمتع ولا أطيب)) حيث أنه
لو عرف الإنسان وذاق طعم الصادقة لله والإخلاص إلى الله والشكوى إلى الله
والكلام مع الله ودعاء الله لما استوحش أصلاً من الكلام مع الناس؟
وكيف يصل الإنسان أيضاً حتى يترك العصبية؟ إذا تعلق بخبير أغراضها من مكروه
نفسه بسبب هذه العصبية، فالإنسان لو اتقى الله بترك العصبية سيجد ما لم
هذه الأمور التي تتعلق بما لا يرضي الله إنما أشغلوا بالله وطاعته دائماً هو كان
من شياطين كلها. قال تعالى ((اهجر لي رغبة)) كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
إنه من عبادنا المخلصين)) فالله العبد قادر على نفسه على سوء من الميل إلى المعصية والتعلق
بها والصرف عنه الفحشاء والإخلاص لله، لأن إخلاص العبد وطاعته تحجزه عن
المعصية حتى لو كان يعزم على هذه المعصية، ويريد ذلك. لذلك وجب على
الإنسان وقت صحوته ونشاطه وطاعاته يكثر من الدعاء أن يصرف الله
عنه السوء والفحشاء وأن يصرف قلبه إلى طاعته فإن دعاء الإنسان وقت صحوته
ينفعه وقت غفلته.
قال الإمام ابن تيمية ((إذا يبلغ أن يذوق حلاوة العبودية لله والإخلاص له
بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص لله وقوي في قلبه
انقهر له هواه بلا علاج)) يقول الإمام إن العبد قد يجد صعوبة كبيرة

في دفع شهوة محرمة أو غضب محرم لكن مع الاستقامة في العبادة والمجاهدة في العبادة
لم يكن هناك حاجة للنهي عن الانحراف عن تلك الجهود أو تلك الشهوة فإنه
يقول إن الإنسان إنما يكون قويًا في مواجهة الشهوات والأهواء المحرمة بمقدار
استقامته وطاعته وإنما ضعف الإنسان أمام مقاومة تلك الأهواء لضعف العبادة
وضعف تعلقه بالله، قال الله تعالى «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر»
فإن الصلاة فيها دفع لشروره وعن الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل محبته وهو ذكر الله.

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول مجاهدة النفس في الطاعة لها فوائد ومنها:
مقدرة الصبر عند الله، ويقوى الصبر في دفع الشهوات المحرمة والأهواء مهما كانت
الأهواء قوية ومهما كان ضعيفًا مجاهدها كما قال الله سبحانه وتعالى «وأما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» فإن الخوف من مقام الله أعظم ما يقوى
به في اجتناب ما حرم الله. قال الله تعالى «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها»
فالإنسان يزكي نفسه بالعمل الصالح وقال تعالى «قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى»
وقال تعالى «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم» وقال تعالى
«ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا»

نوع ثاني من تعلق القلب لغير الله: حب الجاه والرئاسة:

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : إن الذين يطلبون الجاه والرئاسة والعلو في الأرض إنما يكونون في الظاهر ملوكاً ، ولكنهم أسرى لمن يملكهم القدرة لكنهم في الواقع قلوبهم مسخرة لمن يعينهم ولمن يساندونهم ويفتقرون إليهم فيملكهم ويقول أيضاً لو كان هذا المال والملك الذين يصلون من طلب الرئاسة إذا كان تعاونهم عليها للعلو في الأرض بغير الحق هم بالضبط مثل رجل وامرأة طلبهما إرادة الفاحشة. إذا تعاونا على الإثم والعدوان وتعاونا على الفاحشة أو على قطع الطريق فكل منهما مستعبد للآخر.

نوع ثالث من تعلق القلب بغير الله: (الهوى والمال)

يقول الإمام ابن تيمية " كذلك أيضاً طالب المال فإن ذلك المال يستعبده ويسترقه.

والإنسان ما يطالبه من حاجاته نوعان:

منها أشياء وحقائق يحتاج إليها فهذه الأشياء وإن كان يحتاج إليها لا ينبغي أن يتعلق قلبه بها فإذا فقدها هلع وسخط ولم يرضَ بقضاء الله فينبغي أن تكون لديه مجرد أسباب مثل الطعام والشراب والمسكن والمنكح والسيارة التي يركبها والساعة التي يلبسها على الرغم من أنه يحتاج إليها ولكن من عرف أنه يستعبده فهو مجرد أسباب ليس غاية.

وعموماً لا يحتاج العبد إليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به، فإذا علق قلبه به صار مستعبداً له وربما صار معتمداً على غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل على الله فقد عرف ما يتعلق به الإنسان ويلجأ إليه ويأخذ بالأسباب إليه ومن أن يعلق قلبه لغير فيصير مرهوناً ويكون له عبداً لحقيقة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل" فتبين ما خلقنا من أجله هذه الدنيا إلا لعبادة الله ومع ذلك لا ننسى نصيبه من الدنيا. فينبغي أن تكون الهمة المركزية في حياة كل انسان أن يكون عبداً لله متوكلاً عليه ساعياً لتحقيق هذا المعنى ويكون حزنه كذلك تابعاً لتقصيره في هذا المعنى. لذلك قال ابن [illegible] "إن أعظم الحسيب الرجل أن يكون مغتماً لما يغضب الله ثم لا يبالي" وقال الله تبارك وتعالى "لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم"

- أعظم همة أن يكون الإنسان عبداً لله وأن يحرص على هدايته وهداية ذريته ومن يعول ثم على هداية الناس. وبقدر ما تقدم يكون الفرح وبقدر ما تقصر فيها يكون الحزن وكل ما سوى هذا لا يستحق أن تحزن عليه أدنى درجة من الحزن.

بين الإمام ابن تيمية رحمه الله أن يكون العبد مؤمناً حقاً فقال

"يا عبد الله من يرضى بما يرضي الله ويسخط لما يسخط الله، ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله، فهذا هو الذي

يستكمل الإيمان كما جاء بالحديث: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»

وقال: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» فيجعل المحبة والبغض مقرونا

بها، وإذا كان ميزان الرضا والسخط عند المؤمن هو ميزان الإيمان، أحب من يحب الله

من الدين ومن يحبه، وأبغض [illegible] الذي [illegible] سخطه، ومن يحبهم الله الذين يحبهم

ومن يبغضهم الله الذين يبغضهم فقد حقق الإيمان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله

أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ

أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» فهذا واقع رجل فيما يحبه وفيما يكرهه.

وما شاكل الحب في الله [illegible] أن يحب العبد لله قال أن يحبه لغير دنيا أي يكون

الرابط بينه وبينه وجه الله، فهذا هو معنى الحب في الله. وقال تعالى: «فسوف يأتي

الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» أي يكون الإنسان

عزيزا على الكافر [illegible] وذليلا للمؤمن [illegible] وليكن بالعكس كما [illegible] الناس

[illegible]

والمحبة قال تعالى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» [illegible]

أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] محبة لله. وقد جعل الله

لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيل الله، وذلك لأن الجهاد حقيقته

الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله

من الكفر والفسوق والعصيان، وقد قال تعالى «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم».

وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره»

فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد بل قد
ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب
إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب قال:
يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي: فقال: «لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك»
فقال: فوالله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: «الآن يا عمر» ومعنى ذلك إنما
فإن خالف أمر الذي هو ما تشتهيه نفسه فقدم أمر النبي صلى الله عليه وسلم فمعناه أنه
يحب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه.

يريد الإمام ابن تيمية رحمه الله أن يقول أن الفعل يتم بإرادة وقدرة
فمن أراد شيئاً ولم يقدر عليه لا يستطيعه ومتى أن أحد يقدر على شيء ولا يريده فلا يفعله
فالفعل إنما يتم بإرادة وقدرة، يقول الإمام ابن تيمية أن العبد إذا كان محباً لله
فإنه يحب ما يرضي الله فلو كانت محبته صادقة فإنه سيفعل ما يرضي الله
وما يرضي الله هذا ممكن أن يعجز عنه العبد ويمكن أن يقدر عليه فإن كان ما يرضي الله
في استطاعة العبد فإن برهان محبته لله أن يقوم بهذا الفعل، وإذا كان عاجزاً
عن الفعل فيكفي له أن يكون عازماً عليه، فإذا كان عازماً على الفعل وليس
مستطيعاً له فإن له بذلك أجراً)

هل الإنسان الذي عزم على فعل الخير يكون له نفس أجر من فعل ذلك الخير؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" وقال: "إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم"، قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: "وهم بالمدينة حبسهم العذر"

في معصية الطاعة أربعة أصناف من الناس: شخص ينوي الطاعة ويفعلها، وشخص ينوي الطاعة ولا يفعلها، وشخص ينوي المعصية ويفعلها، وشخص ينوي المعصية ولا يفعلها، فالذي ينوي الطاعة إذا عزم عليه وفعلها كان له عشر حسنات كما في الحديث، وإذا نواها ولم يفعلها أي عازماً على الفعل ولم يفعلها فإن له أجراً، أما إن كان عازماً لكنه ليس مستطيعاً فإن له أجراً، وقال بعض العلماء له نفس أجر الفاعل، والمقصود أن هذه النصوص لا تقتضي المساواة ما النصوص المذكورة في هذا المعنى تقتضي أن الذي عزم على الطاعة وهو ليس مستطيعاً يكون مشاركاً للأجر

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "إذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد كان دليلاً على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه" مبيناً رحمه الله تعالى أن الجهاد في سبيله في البلاد كلمة هذا من برهان المحبة فإذا ترك الإنسان ما يقدر عليه من الجهاد فإن ذلك لضعف المحبة ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالباً إلا باحتمال المكروهات سواء كانت محبة صالحة

صالحة أو فاسدة، كما يقول البعض لا يدرك بالتعليم، فليس من شرط الصالح أن
تكون محبوبة، وإنما شرطها أن تكون مستطاعة، وليس من شرط المصلحة أن تكون مكروهة
للنفس، وإنما الشرط أن تكون مستطاعة. فالله كتب علينا القتال وهو كره لنا
والرجل شرع له التعدد في الزواج مع أن ذلك الشرع تكرهه المرأة، فليس من شرط المشروع
أن يكون محبوبًا للنفس. فالله سبحانه وتعالى لم يقل لا يكلف الله نفسًا إلا ما تحب، ولكن
قال (لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فاتقوا الله ما استطعتم)

يقول الإمام ابن تيمية (إن المحبين للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلا بضرر
يلحقهم في الدنيا ~~[illegible]~~ مع ما يصيبهم من الضرر في الدين والآخرة" فعشاق الشيء
يصبرون ذلك للحصول ويتجاوزون حد المشروع فإنهم يتعبون في الدنيا للحصول عليه وكذلك
يضحون به في الآخرة، وإذا كان أهل الشرور وأهل الباطل يتعبون ويصبرون
على باطلهم فيجب أن يصبر المؤمن على الحق. قال الكفار "أن امشوا واصبروا
على آلهتكم" فهم يتواصون بالصبر فيجب أن يتواصى المؤمنون كذلك بالصبر
والحق قال الله تعالى "وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون"

يقول الإمام ابن تيمية "من المعلوم أن المؤمن أشد حبًا لله" قال تعالى "ومن الناس من يتخذ من
دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله" يقصد أن الإنسان يحب ابنه
ويحب أهله ويحب المال معه ولكنه يحب الله أكثر وتعالى فيخضع في طاعته أي يتعبد إلى
الله بغيرها شرع الله وحكم كتب النبي صلى الله عليه وسلم ويريد أن يلقيه ~~[illegible]~~ ويشركه
بالله، فهذه محبة صالحة ولكنه أخطأ الطريق فإن الله إذا اجتمعت المحبة إليها سوء

مع الطريق الذي لا يوصلهم، كالذين يسعون في طلب المال والرئاسة والعلو

من حب أمور توهموا أنها خير، ولا يحصل لهم مطلوبهم. أما المقصود الأعظم الذي يسلكه

العقل السليم لحصول مطلوبه = يريد وجه الله. ابن تيمية رحمه الله يقول: هناك

أشخاص يحبون الله ويحبون النبي صلى الله عليه وسلم وهذه هي الغاية، لا يسلكون

الطريق، فأحيانا تجد الذين يطلبون العلم ويعرفون ما يحبه الله وما يبغضه الله فيستقيمون

على هذا ويجاهدون أنفسهم، وهناك أشخاص يحبون الله ويحبون الرسول لكنهم يخطئون

الطريق لكن لا يزالوا على نية صالحة، وأناس آخرون صالحين وقصدهم الحركة

ما هي إلا أمور فيها لذة لطلب مال أو رئاسة أو ظهور فهؤلاء أخطأوا الطريق

من جهتين: أنهم اتبعوا أنفسهم ما أرادته له لذة عابرة ثم أخطأوا الطريق طريق الهداية.

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «كلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد

له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه». إنما يتحرر القلب حرا عما سوى الله

بقدر عبوديته لله، وإنما يكون مستغنيا عن الخلق بقدر افتقاره إلى الله.